الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة

كلية: الآداب واللغات

قسم: اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيل: ط1: 1717735099111

رقم التسجيل: ط2: 12006409353420

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص لسانيات عامة

بعنوان:

التصوير الصوتي في القرآن الكريم سورة النمل أنموذجا

إعداد الطالبتين (ة):

– ليلى بن صوشة

– الربح بن صوشة

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
بلخير أرفيس	أستاذ	رئيسا
أمينة رقيق	أستاذ محاضر أ	مشرفًا ومقررا
عز الدين عماري	أستاذ محاضر أ	ممتحنًا

السنة الجامعية: 1442هـ-1443هـ/2021-2022

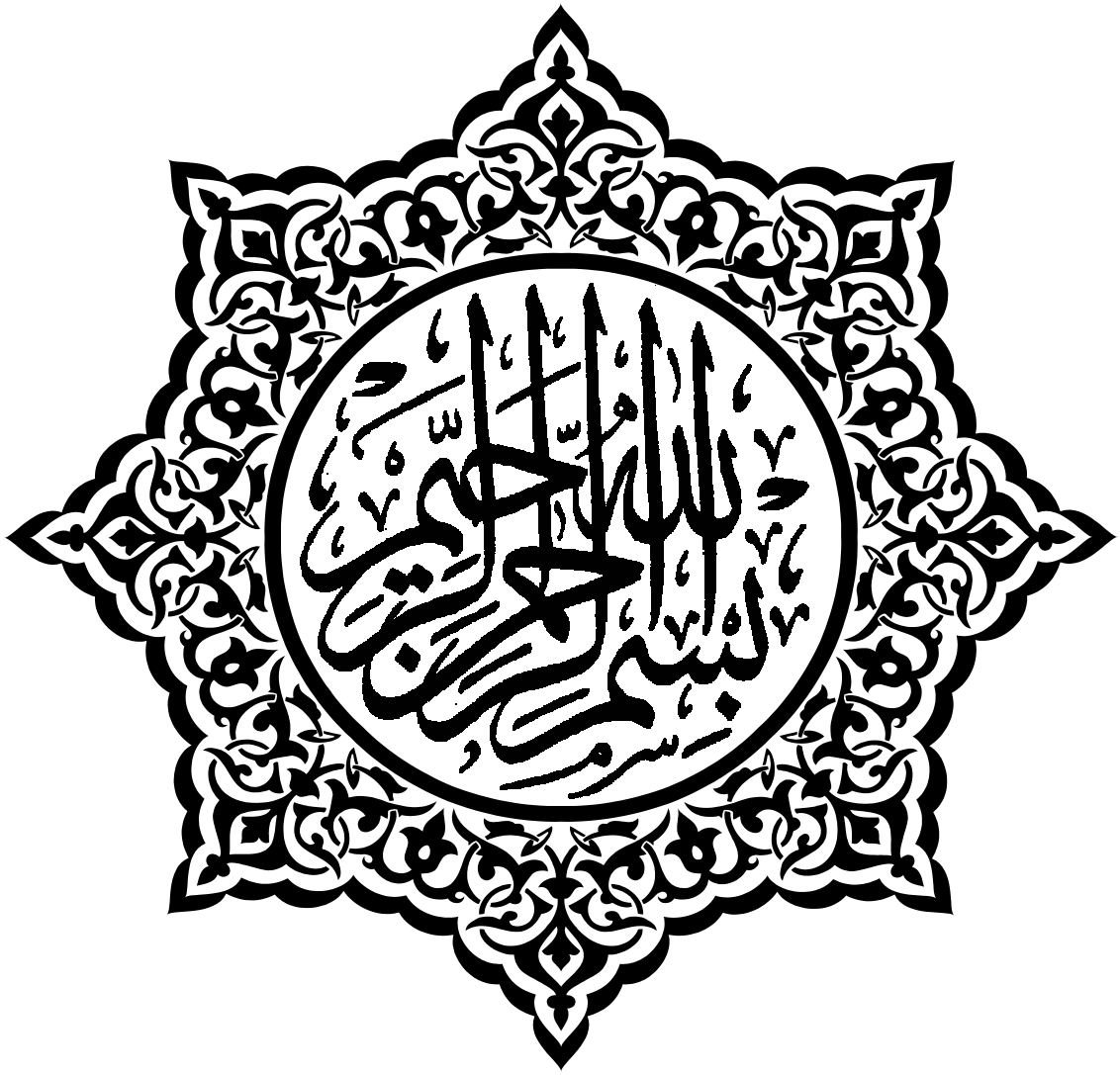
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

نشكر الله سبحانه وتعالى على فضله وتوفيقه لنا ، والقائل في محكم تنزيل

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ . . . .﴾ الآية رقم: (07) سورة إبراهيم

لقد زفت دموع الأقلام إلى أوراق تخط عليها أجمل العبارات، ولإن كتبنا شعرا طول العمر ينتهي العمر ولا تنتهي الأبيات، فهل بإمكان الأقلام أن تعبر عن الشكر والعرفان، وهل تكفي الأوراق لكل الكلمات، فما علينا سوى اختصارها في هذه العبارات:

فكل الشكر

إلى أستاذتنا المشرفة **(أمينة رقيق)** منبع المعرفة والسراج

الذي أنار دربنا فكل الشكر والاحترام لها

وإلى كل الأساتذة الذين سقونا من بحر المعرفة حتى وصلنا إلى أعلى الدرجات

كما نتقدم بالشكر إلى اللجنة المناقشة وإلى كل أساتذة قسم اللغة والأدب العربي

وإلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد في إنجاز هذه المذكرة

مقدمة

مقدمــة:

بسم الله والحمد لله الذي لا إله إلا هو، الذي نزّل القرآن الكريم وأخرجنا من الظلمات إلى النور، والصلاة والسلام على عبده ورسوله سيّدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وأصحابه وعلى من سار على دربه وبلغ رسالة الإسلام إلى يوم الدين، أما بعد:

إن اللغة أداة اتصال بين البشر تحقّق غرض التبليغ والتواصل لذلك كانت مجمل دراسة وعناية وتحليل من أجل كشف أسرارها وسير أغوارها ، ومعرفة مكوناتها ، فحظيت بنصيب وافر من الاهتمام من المتخصصين في هذا المجال، وقد كانت مستويات التشكيل اللغوي في بداية الدرس اللساني بؤرة الاهتمام ومركز الدوران، واعتبرت نظامها الأساس للدراسة خصوصا عند أصحاب النظريات اللسانية، لكن الاهتمام الشديد باللغة والتطور الحاصل في جميع العلوم أحدث قفزة نوعية في هذا الجانب ونقلة محورية في البحث اللساني ، إلى درجة أعلى مما كان عليه، ليشمل مختلف مستويات التحليل اللساني، مما شملته هذه الأخيرة من نقائص إذا لا يمكن دراسة المعنى منفصلا عن سياقه اللساني المتمثل في البنية اللغوية الكبرى" النص"، ولعل أولى هاته الجوانب هو الجانب الصوتي.

لقد امتلكنا الفضول للإبحار في مجالات اللغة التي تعد من أعظم العلوم نفعا وأجلّها قدرا ومن بين هذه المجالات اخترنا التحليل اللساني باعتباره رمزا من رموز قواعدنا العربية، ومصدر تشريع لغويا، فركزنا على الجانب الصوتي من خلال اختيار سورة من الذكر الحكيم، ومن هنا تبلور موضوعنا تحت عنوان :" **التصوير الصوتي في القرآن الكريم – سورة النمل أنموذجا** "

ومما دفعنا لاختيار هذا الموضوع:

- حبا ورغبة في دراسة نصوص من لغتنا العربية.
- تأمل القرآن الكريم من خلال سورة النمل وما تحمله في ثناياها من معاني صوتية ودلالات نحوية وبلاغية .

- كون القرآن الكريم أفصح وأسمى نصوص اللغة العربية وبدراسة ألفاظه و أصواته نتبين معانيه ، وهذا ما يعين على تدبره و التخلق بأخلاقه و الالتزام بتشريعاته.

تهدف هذه الدراسة إلى إيضاح ملامح التصوير اللغوي الصوتي في القرآن الكريم.

ولمعالجة هذا الموضوع يُطرح الإشكال الآتي:

كيف تجسدت ملامح التصوير اللغوي الصوتي في القرآن الكريم من خلال سورة النمل؟

و تفرعت عنه جملة من التساؤلات نذكر منها:

- ما مفهوم المستوى الصوتي ؟
- وما هي مثيراته اللغوية في سورة النمل؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة اتبعنا المنهج الوصفي التاريخي وذلك من خلال تتبع تطورات الأسلوبية ومستويات التحليل اللساني من خلال الحديث عن المستوى الصوتي، كما استعنا بالمنهج الوصفي للكشف عن مستويات التصوير الصوتي في سورة النمل ، ومدى أثرها على ذلك.

أما خطة هذه الدراسة فجاءت في مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة؛ المدخل تناولنا فيه شيئا من التعريف بسورة النمل وأهميتها.

وفي الفصل الأول الذي عنون بـ "التصوير الصوتي في القرآن الكريم " مفاهيم حول التصوير الصوتي للقرآن وكذا غاياته، وفي بالإضافة إلى مفهوم قصص القرآن والغرض منها ، وجانبا من التصوير الصوتي للحدث القصصي في القرآن الكريم. أما الفصل الثاني فكان بعنوان "التصوير الصوتي في سورة النمل ، تحدثنا عن تعريف المقاطع الصوتية ودلالة التصوير فيها من خلال سورة النمل.

وكان أكثر اعتمادنا في هذه الدراسة على كتب اللغة عموما، و"جامع الدروس العربية" لمصطفى الغلاييني، ومختلف كتب التفسير، بشكل خاص.

وكأي بحث تعترضه مجموعة من المصاعب، فقد واجهتنا مجموعة من الصعوبات أهمها: كيفية التطبيق على السورة محل الدراسة، سيما أن تتبع إمكانات التصوير الصوتي يتطلب الكثير من الجهد و الدراية بأصول اللغة العربية، كما أن للخطاب القرآني محاذيره

الشرعية والتأويلية، التي تقتضي من الباحث الأناة والحكمة و اللجوء إلى ما ينير طريقه في رحلته إلى الحقيقة.

كل الشكر والامتنان لأستاذتنا المشرفة الدكتورة" أمينة رقيق " على محاولاتها العديدة لتسهيل إجراءات إعداد هذه المذكرة وتعبها معنا والسهر معنا في هذا الوقت الصعب، على أمل أن يكون جهدنا فاتحة خير كما يقال لبحوث أخرى.

مدخل

التعريف بسورة النمل

1-التعريف بسورة النمل:

2-المعنى العام للسورة:

3-سبب التسمية:

4-مقاصد سورة النمل:

5-قصة موسى عليه السلام:

1-التعريف بسورة النمل:

سورة النمل هي سورة مكية عدد آياتها 93 آية، ترتيبها السابع والعشرون، نزلت بعد سورة الشعراء، تم الحديث فيها عن أدلة وحدانية الله وقدرته، وعن مظاهر فضله تعالى عن عباده.

2-المعنى العام للسورة:

تناولت السورة الكريمة القرآن العظيم، معجزة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الكبرى وحجته البالغة إلى يوم الدين، فوضحت أنه من تنزيل حكيم عليم، ثم تحدثت عن قصص الأنبياء بإيجاز في بعض الأحيان واسهاب في البعض الاخر، فذكرت بالإجمال قصة موسى وقصة صالح وقصة لوط عليهم السلام، وما نال أقوامهم من العذاب والنكال بسبب إعراضهم عن دعوة الله وتكذيبهم لرسله الكرام.

وتحدثت بالتفصيل عن قصة سيدنا داود وولده سليمان عليهما السلام، وما أنعم الله عليهما من النعم الجليلة وما خصّهما بيه من الفضل الكبير بالجمع بين النبوة والملك الواسع، ثّم ذكرت قصة سيدنا سليمان مع بلقيس ملكة سبأ، كما تناولت السورة الكريمة الدلائل والبراهين على وجود الله و وحدانيته.

ومن آثار مخلوقاته وبدائع صنعه، وساقت بعض الاهوال والمشاهد الرهيبة التي يراها الناس يوم الحشر الأكبر، حيث يفزعون ويرهبون وينقسمون إلى قسمين: الشهداء الابرار والذين يكبون على وجوههم في النار[1].

[1] محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، ط4، ج2، بيروت، 1981، ص382.

3-سبب التسمية:

سميت سورة النمل لأن الله تعالى ذكر فيها قصة النملة التي وعظت بني جنسها ونبهتهم ثم اعتذرت إلى سيدنا سليمان وجنوده، ففهم نبي الله كلامها وتبسم من قولها وشكر الله على ما منحه من الفضل، وفي ذلك أعظم الدلالة على علم الحيوان، وهذا من الهام الواحد الديان[1].

4-مقاصد سورة النمل:

مقصود السورة الرئيسي- كسائر السور المكية- وهو العقيدة؛ الايمان بالله، وعبادته وحده، والايمان بالآخرة، وما فيها من ثواب وعقاب.

- الايمان بالوحي، وأن الغيب كله لله، لا يعلمه سواه.
- الايمان بأن الله هو الخالق الرزّاق واهب النعم وتوجيه القلب إلى شكر أنعم الله على البشر.
- الايمان بأن الحول والقوة كلها لله، وأن لا حول ولا قوة إلا بالله.
- الاعتبار بملك أعظم ملك أوتيه نبي، وهو ملك داود، وملك سليمان عليهما السلام، وما بلغه من العلم بأحوال الطير، وما بلغ إليه ملكه من عظمة الحضارة.

في رحاب السورة الكريمة " سورة النمل":

" سورة النمل"؛ سورة كريمة نزلت بمكة المكرمة بعد سورة الشعراء، آياتها ثلاث وتسعون وقد عدّت آياتها في عدد أهل المدينة ومكة خمس وتسعون، وعند أهل الشام والبصرة والكوفة أربعا وتسعين، وأشهر أسمائها " سورة النمل"، وكذلك سمّيت في صحيح البخاري، وجامع الترمذي، وتسمى أيضا" سورة سليمان" وهذان الاسمان اقتصر عليهما في الاتقان وغيره.

[1] المرجع السابق، ص382.

وهذه السورة مكية بالاتفاق كما حكاه" ابن عطيبة" و" القرطبي" و" السيوطي" وغير واحد، وذكر" الخفاجي" أن بعصهم ذهب إلى مكية بعض آياتها (كذا ولعله سهر صوابه مدنية بعضها) ولم نقف على هذا لغير الخفّاجي.

وهي السورة الثامنة والاربعون في عدد نزول السور والسابعة والعشرون في ترتيب المصحف، وهي احدى ثلاث سور نزلت متتالية ووضعت في المصحف متتالية، وهي : الشعراء، النمل، القصص[1].

و" سورة النمل" هذه تتحدّث عن التفوق الحضاري وأهمّية أن يمتلك المسلمون معالم حضارة قوّية من العلم والتكنلوجيا والقوة المادية والعسكرية وكان رمز التفوق الحضاري في هذه السورة: سيدنا سليمان عليه السلام، ومملكته التي جمعت بين الايمان والنجاح في الحياة، هذه المؤسسة هي أشبه ما تكون بلغة اليوم: شركة عالمية متعددة الجنسيات وتوظّف ضمن جهازها الإداري جنسيات مختلفة، من الجن والانس والطير والنمل والوحوش...

وقد تناولت السورة الكريمة " سورة النمل" القرآن الكريم، المعجزة الخالدة لمحمد ، فذكرت بالإجمال قصص كل من :" موسى عليه السلام"، و" صالح عليه السلام" ، و" لوط عليه السلام" ، وما نال أقوامهم من العذاب بسبب شِركهِم وإعراضهم عن دعوة الله عزّ وجل، ثم تحدّثت بالتفصيل عن قصة " داوود عللیه السلام" وولدِه" سليمان" ، وما أنعم الله عليهما من نعم جليلة وفضل عظيم، ثم ذكرت قصّة سليمان مع بلقيس، حيث تركت عبادة الاوثان وأسلمت مع سليمان لرب العالمين، كما تناولت السورة، كذلك الدلائل والبراهين على وجود الله و وحدانيته من آثار مخلوقاته وبدائع صنعه ، وساقت بعض الاهوال والشدائد من مشاهد يوم القيامة.

[1] محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د ت، ج18-19، ص215.

وسميت ب" سورة النمل" لأن الله عزّ وجل ذكر فيها قصة النملة التي وعظت جيشها بدخول مساكنهم حتى لا يحطمنهم سليمان وجنوده، وفهم نبي الله كلامها وتبسم ضاحكا من قولها وشكر الله على ما منحه من فضلٍ وإنعامٍ[1].

5-قصة موسى عليه السلام:

للقرآن الكريم استعمال خاص للألفاظ، فالبيان القرآني محكم ودقيق في اختيار الالفاظ، وذلك من أسرار الاعجاز فيها، اذ ارتقى على الأسلوب البشري غاية الارتقاء في احكام البيان، وهنا يظهر البون الشاسع الذي لا يقارن مطلقا بين استعمال البيان القرآني وبيان البشر في التعبير.

[1]محمد حسن سلامة: الاعجاز البلاغي في القرآن الكريم، دار الافاق العربية، القاهرة، 2002، ص217.

الفصل الأول

التصوير الصوتي المفاهيم والاجراءات

تمهيد

المبحث الاول: التصوير القرآني في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: النص القرآني من منظور صوتي

المبحث الثالث: التصوير الصوتي للحدث القصصي

تمهيد

تعد اللغة منظومة من الرموز والأصوات التي اصطلحت عليها الجماعة بغرض التواصل والتخاطب فيما بينها، مما يعني أن الظاهرة اللغوية عبارة عن نظام يسير وفق قواعد وأصول ثابتة لا تتغير، ويخضع النظام اللغوي في تحليله إلى أربعة مستويات محددة تبدأ بدراسة أصغر وحدات اللغة وهو الصوت وصولا الى الجمل والعبارات والتراكيب المختلفة .

فاللغة" شأن يشترك فيه البشر جميعهم ، وهي من أقوى أدوات الاتصال ، وأهم وسائل إكتساب المعارف والمعلومات والثقافات، ولها دورها الرائد في حياة المجتمع فهي أداة التفاهم وهي سلاح الفرد في مواجهة كثير من المواقف التي تتطلب الكلام أو الاستماع ، أو الكتابة، أو القراءة ، وهذه الوظيفة من أهم الوظائف الاجتماعية للغة ، فاللغة صورة وجود الأمة بأفكارها ومعانيها وحقائق نفوسها وجودا متميزا قائما بخصائصه تتحد بها الأمة في صور التفكير ، وأساليب أخذ المعنى من المادة ، والدقة في تركيب اللغة دليل على دقة الملكات في أهلها وعمقها وهو عمق الروح ودليل الحس على ميل الأمة إلى التفكير والبحث في الأسباب والعلل "[1].

[1] فاضل ناهي عبد عون: طرائق تدريس اللغة وأساليب تدريسها، مؤسسة دار الصادق الثقافية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط2،2014، ص15.

المبحث الأول :التصوير الصوتي في القرآن الكريم

1- الصورة القرآنية ومقوماتها:

كان للقرآن الكريم عظيم الفضل في تطور اللغة العربية، كما ساعدت في " بناء الصورة الفنية في القرآن الكريم، لأنها لغة تصويرية، في طبيعتها، وهي من أكثر اللغات انسجاما مع تصوير الحالات النفسية والذهنية ، والمواقف الإنسانية ، والمقاييس الجمالية، فهي بحروفها وألفاظها ، وتركيبها كنز مذخور للتعبير الفني أو التصوير الجمالي" [1].

ولا شك أن اختيار الله عز وجل لها- اللغة العربية- لتكون لغة كتابه ورسالته إلى خلقه، ولغة أهل الجنة أشرف دليل على أنها من بين كل اللغات الاقدر على حمل الرسالة ، بحروفها ، ومعانيها، وحركاتها وسكناتها، وكل خصائصها المعجمية والتركيبة والصوتية...

فمن بين أهم خصائصها بالإضافة إلى المجاز نجد دقة التعبير والأسلوب المباشر والواقعية، والصورة القرآنية كذلك مثلما تعبر بالمجاز فإنها تعبر بالواقع، يقول " إبراهيم بن عبد الرحمن الغنيم": " إن الصورة التي تنقل المشهد بشكله الواقعي ، قد تبدو أكثر تأثيرا وامتاعا، ولا تنقصها القدرة على استثارة المتلقي، وتحريك مشاعره ، فإن من المشاهد الواقعية مايحرك العواطف، ويهز الوجدان بمجرد التعرض له" [2].

والبناء اللغوي في أي نص كان يعتمد على مستويات تتدرج ابتداءا من الحروف إلى الكلمات إلى العبارات ، وكذلك الحال بالنسبة للصورة القرآنية فأسرار التصوير فيها تنطلق من الحروف وتلاؤمها ، مرورا بالكلمات وتناسقها ، وصولا إلى الايات وتناسبها ، ويمكن أن نقدم ماعرض له أصحاب البيان من القدامى والمحدثين حول هاته المكونات أو المقومات" الحروف، الالفاظ، الايات" ، وآثارها في السورة القرآنية .

---

[1] الراغب أحمد عبد السلام: وظيفة السورة الفنية في القرآن ، ص380.

[2] الغنيم إبراهيم بن عبد الرحمن: الصورة الفنية في الشعر العربي، ص176.

الحروف:

تعتبر اللبنة الأولى في بناء الصورة الفنية، حيث تشكل العلاقة بين الحروف انسجاما وتناقصها ينعكس على السورة، بالإضافة إلى خصائص وطبيعة الحروف في حد ذاتها، وعلى قدر ترابط الحروف بعضها ببعض، وانسجامها داخل الكلمة، تنسجم السورة وينعكس عليها ذلك التآلف والتلاؤم بين الحروف.

ويعدّ " الرماني" أول من تحدث عن فكرة " التلاؤم" في الحروف في الأسلوب القرآني موضحا أثر ذلك في النفس.

والتلاؤم بين الحروف هو نقيض التنافر، وهو على مراتب ، والقرآن الكريم في أعلاها ، يقول " الرماني " في ذلك:" والمتلائم في الطبقة العليا القرآن كله ، وذلك بّين لمن تأّمله"[1].

وفي العصر الحديث نجد أن " مصطفى صادق الرافعي " يرى أن فكرة التلاؤم بين الحروف لا ترجع إلى مخارج الحروف فقط ، بل إن صفاتها ومناسبتها وترتيبها معنية هي الأخرى، فقد تحدث عن اعجاز نظم الموسيقى في القرآن ، وأرجع ذلك " لترتيب حروفه باعتبار أصواتها ومخارجها، ومناسبة بعض ذلك لبعضه، مناسبة طبيعية في الهمس والجهر، والشدة ، والرخاوة ، والتفخيم ، والترقيق، والتغشي، والتكرير" [2]، وهاته العوارض من خلال تفاعلها مع بعضها معنية بتشكيل الصورة ويرى الدكتور" أحمد السلام الراغب" أن الانسجام أو التناسق بين الحروف في الكلمة القرآنية ، يرجع إلى مخارجها وصفاتها، وحركاتها المتنوعة ، ومن المجموع هذه العلاقات الصوتية ، تتكون النغمة الموسيقية للكلمة ، أو إيقاع الموسيقى لها، وهذا الإيقاع الموسيقي للكلمة مرتبط بالمعنى، وقد بلغ القرآن الكريم، حدّ الاعجاز ، في الإيقاع الموسيقي لكلمات، ودلالته على المعنى الديني ، وارتباطه بالصورة الفنية المرسومة [3].

---

[1] الرماني: النكت ، ص88، عن وظيفة الصورة الفنية في القرآن ، الراغب أحمد عبد السلام ، ص381.

[2] مصطفى صادق الرافعي: اعجاز القرآن ، ص215.

[3] الراغب أحمد عبد السلام :وظيفة الصورة الفنية في القرآن، ص385.

الكلمة:

يصف " الباقلاني" جمال روعة الكلمة القرآني مفردة" ومتضامة مع غيرها من الكلمات ، يقول:" أنظر فيها آية آية، وكلمة كلمة، فكل كلمة لو أفردت، كانت في الجمال غاية، وفي الدلالة آية ، فكيف إذا قارنتها أخواتها وضمتها ذواتها مما تجري في الحسن مجراها، وتأخذ في معناها" [1].

الكلمة هي اللبنة الثانية، وهي أساس بناء الصورة الفنية ، فالاختيار لبعض الالفاظ دون الاخر قد يجعل من المعنى أشرف وأوضح ويرى الدكتور " أحمد عبد السلام الراغب" أن من بلاغة التنزيل الحكيم واجازه مثلا كلمة" لباس" التي استخدمت في تصوير العلاقة بين المرأة والرجل في قوله عز وجل:{ هن لباس لكم} سورة البقرة، الاية 187، هي في دلالتها الحسية تدل على الثوب الذي يستر الجسم ثمة تطور دلالة اللفظة لتحمل دلالات مجازية أخرى كقولهم : " لبس الحق بالباطل، والتبس عليه الامر، ولابست فلانا حتى عرفت دخلته أي خالطته والتبست عليه الأمور، وفي أمره لبس ولسبة بالضم إذا لم يكن واضحا، وفيه ملتبس؛ مستمتع ، وفلان قد لبس الناس؛ أي عاش معهم... ولكل زمان لبسة أي حال يلبس عليها من شدة أو رخاء ، ولبست فلانا على مافيه ؛ أي احتملته وقبلته... ولبست على كذا أذني إذا سكت عليه ولم تتكمل وتصاممت عنه، ويقال لباس التقوى الحياء" [2]، واستخدام هذه اللفظة في القرآن توحي بالمعنى الحسي والمعنى المجازي معا، فهي تدل على طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة من جانبها لمادي وجانبها المعنوي أيضا بما فيها من عشرة وستر، واستمتاع ومعايشة على الشدة والرخاوة ، واحتمال واحياء ، وغير ذلك...، وكلّها لها معان تحتملها لفظة لغوية واحدة " [3].

[1] أبو بكر الباقلاني: إعجاز القرآن ، ص190.

[2] نفسه ، ص387، عن أساس البلاغة : الزمخشري، مادة لبس.

[3] الراغب أحمد عبد السلام ، وظيفة الصورة الفنية في القرآن ، ص388.

الآيات:

لقد كان لتناسب الآيات فيما بينها من جهة وتناسبها في اطارها العام وسياقها مع معنى النص القرآني من ترغيب أو ترهيب، فكانت الآيات الجزلة في التركيب ومناسبة للجو العام داخل آيات التغريب، أما ماكان منه بالترهيب فقد انعكست ملامح الشدة التي يمليها السياق القرآني عليها، كما أن هناك ايقاعا بين الآيات ينطبق عليه ذلك السياق القرآني ، وهذا الإيقاع من شأنه أن يحدث تأثيره التصوير وهذا ما ذهب إليه" صلاح الدين عبد التواب" في تأكيده على دور الإيقاع في اخراج الصورة: " إذْ يحدث الإيقاع رنينا في جهازنا كلّه ، فيستولي الأثر على مشاعرنا ، وذلك من حيث جزالة الكلمة، وحسن جسرها، وسلامتها من العيون البلاغية كالتعقيد ، والتنافر، مع دقة النظم، واختيار اللفظ ومطابقة المعنى واتفاق الفواصل مع الآيات ، مما يضفي الرونق والتأثير على هذا التصوير" [1].

وبالإضافة إلى المقومات اللغوية للصورة القرآنية نجد أن مايقابل اللغة في الثنائية الازلية هو الفكر ، فهاهو عبد القاهر الجرجاني يؤكد على أهميته في تشكيل الصورة من جهة ومن جهة مقابلة دور الصورة في ابراز الفكرة وتوضيحه والتأثير في المتلقي، يقول الجرجاني: " إن شئت اترك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون ..." [2].

وما يعنينا ليس الفكر بمفهومه المنطقي، بل هو ذلك المقابل للشكل ، أو على حد تعبير البلاغيين القدام" المعاني" ، وأهم عناصر أو مكونات الصورة القرآنية نجد:

الخيال:

ويعتبر الخيال من المقومات الأساسية للصورة حيث يرتبط ارتباطا مباشرا بالاحساس، والخيال ينطلق من الواقع الذي يعتبر مادة أولية فالواقع يمدّنا بالمحسوسات نشاهدها

[1] صلاح الدين عبد التواب: الصورة الأدبية في القرآن ، ص26.

[2] المصدر نفسه، ص45، عن الجرجاني : أسرار البلاغة ، ص33.

ونلمسها، ثم يبدأ الخيال بتوسيع وتطوير تلك المحسوسات بعد أن تزول من أمام المشاهد ، وتبدأ هنا العلمية الإبداعية للخيال من خلال التغيير في خصائص المادة المحسوسة، فتتشكل الصورة الفنية وفق الذكريات والصورة الذهنية المختزنة ، وفي هذا يقول ابن سينا : " الشيء قد يكون محسوسا عندما يشاهد ثم يكون متخيلا عن غيبته بتمثل صورته في الباطل" [1].

وهذا القول يوضح أن منشأ الخيال هو الواقع، وان الخيال هو تصرف في جزئياته وأحداثه وليس بالضرورة أن يكون منافيا ومناقضا له ، كما تم فهمه عن طريق الترجمة المظللة لمصطلح التخييل، حيث أن انتقاله من حقل الفلسفة والبلاغة والنقد جرّ معه تلك المغالطة في الترجمة من خلال المترجمين لكتب أرسطو الذي ترجموا مصطلح " فنطاسيا" مرة بالتخيل ومرة بالتوهم" الامر الذي جعل الكثير من العرب يسيؤون الظن بالمصطلح" التخيل" وحملوه على معنى " التوهم" ، ويرى الدكتور أحمد عبد السلام الراغب أن من بينهم " عبد القاهر الجرجاني " الذي قسم المعاني إلى عقلية وتخيلية ، ووازن بينهما ، واعتبر التخييلي مناقضا للحقيقي، وفضّل المعنى الحقيقي لأنه مدار الاحاديث النبوية وكلام الصحابة ولكنه – الجرجاني– أحسّ والاضطراب أمام استعارات القرآن الكريم التي تعتمد التخييل لذلك رأى أن سبيل الاستعارة هي" سبيل الكلام المحذوف ، في أنك إذا رجعت إلى أصله وجدت قائله وهو ويثبت أمرا عقليا صحيحا ويدعي دعوى لها سنح في العقل" [2].

وخلافاً للجرجاني جاء فهم ´الزمخشري" لمصطلح التخييل أكثر وضوحا ، فقط عزله عن أي دلالة للتوهم ولم يكن عنده مناقضا للحقيقة ، بل كان تجسيما وتمثيلا للمعاني المجردة للذهن وتمثيلا حسيا لها، وعلى دربه سار " سيد قطب" حيث اعتبر التخييم طريقة فنية في التعبير وقاعدة للتصوير الأساسية في القرآن الكريم، حينما خصص له فصلا بعنوان " التخييل الحسي" في كتابه " التصوير الفني في القرآن ".

[1] جوده عاطف نصر: الخيال مفهوماته ووظائفه، ص13.

[2] الراغب أحمد عبد السلام : وظيفة الصورة الفنية في القرآن ، ص49.

فالخيال بهذا عنصر أساسي في تشكيل الصورة القرآنية ، لا يعنى بأي شكل من الاشكال ابتعادا أو انزياحا عن الحقيقة ، بل هو أداة لتسجيم المعاني المجردة في الاذهان وتقريبها إلى النفوس بأكبر قدر من الحواس ، فتصبح المعاني المدركة بالذهن ملموسة باليد وشاخصة أمام العيان .

إن الترابط بين أجزاء الصورة القرآنية التي ذكرنا بعضها ينعكس على متلقيها فيصبح تأثره بالنص القرآني تأثر وجداني عبر جميع حواسه ، فتنتقل الصورة القرآنية من خياله إلى نفسه ، ويصبح بذلك مشاهدا لما يسمع، وشاهدًا على أحداث كأنما عايشها بتفاصيلها...

2- مفهوم التصوير في القرآن الكريم:

إن "التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن ، فهو يعبر بالصورة المحسنة المتخيلة عن المعنى الهني ، والحالة النفسية؛ والحادث المحسوس، والمشهد المنظور، و النموذج الإنساني والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة"[1]، أي أن التصوير يجسد لنا الحادثة أو القصة الواقعة في زمن ولّى حتى نستطيع تخيلها في أذهاننا، أي أنه يقرب الصورة فيمنحها حياة جديدة وحركة متجددة توصل لنا المعنى في احسن صورة، حيث تشك الصورة القاعدة الأساس في القرآن الكريم للتعبير عن جميع الأغراض وشتى المعاني والحالات الحسية والذهنية ، تصويرا واقعيا محسوسا ترتقي فيه الصور إلى المشهد الحي المتحرك الشاخص، فيتخيل للقارئ أنه أمام مسرح أحداث وقصص ومواقف مرئية حية حافلة بالحياة و الحركة ، تثير الخيال، يكاد يبصرها النظر، وكأنها حاضرة تهز الفكر والوجدان.

يقول صلاح الخالدي :" وخلاصة معنى المصطلح (التصوير الفني في القرآن): أن القرآن استخدم طريقة التصوير البيانية المتخيلة للتعبير عن موضوعاته، وجعلها قاعدة التعبير البياني فيه، فالانسان عندما يقرأ الآيات يتخيل في خياله مناظر فنية، وكأنه يرى

[1] سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، دار الشرق ، ط10-17، القاهرة ، 1408هـ1988م/1425هـ-2004م، ص36.

صورا ومشاهد ولقطات معروضة على شاشة العرض أو خشبة المسرح المتخيلة"[1]، ويشير هذا الباحث إلى أن معظم موضوعات القرآن الكريم أُديت بأسلوب التصوير، حيث قُدّر ذلك في زهاء ثلاث أرباع منه، بينما يرتد ربع منه إلى الأداء الذهني المجرد" [2].

وتتخذ قيمة التصوير القرآني وبراعته لدى أحد الدارسين في :" إثارة الحواس المختلفة والعواطف المتباينة ، ما يثبت الصورة في الادراك والوجدان " [3]، وهو في رأيه ما استنهض الهمم الذّواقة لتحسس جوانبه الفنية، إن القرآن الكريم حين يخاطب العقلاء، انما يخاطب فيهم عقولهم، كما يثير فيهم مشاعرهم وأحاسيسهم ، بأسلوبه الفذ وبيانه المعجز، وموسيقاه الساحرة، فيجعل المخاطب يتخيل المعنى المجرد صورة ناطقة يتحسس فيها الحركة والحياة، وإذا كان التصوير تثبيتا للظل الصامت أو مجموعة خطوط وألوان مجتمعة تضع أمام الرائي لوحة قد تثير في ذهنه معنى من المعاني ، أو تنقل إلى مخيلته مشهدا من المشاهد ، فإن التصوير القرآني أوسع من هذا بكثير؛ فهو تحويل الحروف الصوتية الجامدة إلى ريشة تنبع من رأسها الاصباغ والألوان المختلفة حسب الحاجة والطلب ، لتحيل بدورها المعاني المعتادة إلى صور يتأملها الخيال ويدركها الشعور وتكاد العين تستوعبها قبل أن يستوعبها العقل، فهو تصوير حي منتزع من عالم الاحياء، لا ألوان مجردة، وخطوط جامدة، تصوير تقاس الابعاد فيه والمسافات بالمشاعر والوجدانات، فالمعاني ترسم وهي تتفاعل في نفوس آدمية حية أو في مشاهد من الطبيعة تخلع عليها الحياة.

فالتصوير القرآني يعبر عن المعنى الذهني بالصورة المحسوسة المتخيلة، فيكون الخطاب أوقع في النفس، وأقوى في التأثير، وأدعى إلى القبول، إذ يجعل الحس يتثر عن طريق الخيال بالصورة ماشاء له التأثر، فيستقر المعنى في أعماق النفس.

---

[1] صلاح عبد الفتاح الخالدي: اعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، دار عمار، ط1، 2000، ص338.

[2] نفسه: ص339.

[3] صلاح الدين عبد التواب: الصورة الأدبية في القرآن الكريم ، الشركة المصرية العالمية لونجمان، ط1، مصر، 1995، ص43.

إن التراكيب القرآنية مهما كانت معقدة ومتداخلة فيما بينها تشكل مَبنى مصورا تصويرا محبوكا منظما لا خلل فيه فهذا التداخل لا يشكل عائقا أمام القارئ وإنما يزيده تعمقا وفهما للمعنى المراد وجمالا فنيا مقصودا يثيرر مشاعره وأحاسيس القارئ ليتصور بذلك ويتخيل الحادثة بشكل متقارب إن لم نقل متكاملا.

فالقرآن الكريم يبرز المعاني المعقولة في صورة مؤتلفة ائتلافا عجيبا في قوالب كلية متحركة تشعر فيها بالاصوات والألوان والحركات.

للعقل دور كبير في تحاور الناس وتخاطبهم ، فالكلام إنما يصل إلى العقل أولا فإذا أدركه أرسله إلى الوجدان ليتفاعل الخيال معه، فيحس به وهو يتأثر، وللقرآن سر عجيب في هذا فهو يحمل في مفرداته مافيه من خطاب للعقل والوجدان في آن واحد، فهو يرسل للعقل مايؤثر فيه، وإلى الإحساس ما يتأثر به، فيهزهما بلفظة واحدة، وهذا سر الاعجاب وغاية الجمال.

وللتصوير الفني أشكال[1] منها :

1-التصوير البياني: يكون باستعمال أساليب علم البيان التي تقوم على المجاز من تشبيه واستعارة وكناية.

2-التصوير بالتأليف: ويكون بورود العبارات الحقيقية الخالية من المجاز على نسق معين تستطيع فيه تشخيص المعاني وتجسيدها لتكون على شكل مشهد تصويري حي.

3-التصوير باللفظ: ويكون برسم بعض الالفاظ صورة فنية شاخصة تتشكل من إيقاع الكلمة وجرسها الموسيقي، ومن تأليفها من حروف معينة وأصوات خاصة ذات مدّ أو تشديد أو ترقيق أو تفخيم أو ماشاكل ذلك.

[1] وليد قصاب: في الاعجاز البلاغي للقرآن الكريم، دار الفكر المعاصر، ط2، بيروت، 1435هـ-2014م، ص182-187.

3- الصورة الفنية في القرآن الكريم وأشكالها:

تتميز الصورة الفنية في القرآن الكريم ، بأسلوبها ، وموضوعها ، ومواد تشكيلها ، ووظائفها، فهي صورة تحمل أهدافا دينية ولكن ذلك لم يمنع من أن تتجلى في بناء وتقديم فني ،" الصورة القرآنية متداخلة تعتمد على العلاقات والروابط فيما بينها لتشكيل بناء تصويري واحد، وإن تعددت فيه الانظمة والعلاقات التي تربط بين لبناته، فهذا مما يزيد في صفاته الجمالية أو الفنية"[1]، وقد استنفذ القرآن الكريم" الطاقات التصويرية للغة العربية في التعبير فجاءت صورة حية متحركة شاخصة ، كما جاءت متنوعة مشحونة بالمشاعر والانفعالات"[2].

والصورة الفنية في القرآن الكريم تحمل خصائص متنوعة ، تنساب ضمن نظام دقيق وتناسق اجزائها فيما بينها مكون بذلك مشاهد حية، تمثل أمام ناظري القارئ والمتأمل لكتاب الله، مصورة أقوى الاحاسيس، وأبهى مناظر الترغيب والبشارئ، وافزع مشاهد التخويف.

نجد فهم الصورة الفنية، بوصفها أسلوبا اقناعيا في الدراسة البلاغية للقرآن الكريم ما يعضده، فقد مكّن تناول أساليب القرآن في التأثير والاستمالة فهم الصورة القرآنية على أنها طريقة في الاقناع، من خلال وظيفة الابانة والتوضيح، والحجاج والجدل، والحرص على لون من الانفعالات، على النحو الذي يؤثر في المتلقي، ويستميله إلى المقررات الدينية السامية التي يفضي بها الخطاب القرآني الكريم". [3]

---

[1] الراغب أحمد عبد السلام: وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، ط1، حلب، 2001، ص379.

[2] المرجع نفسه، ص39.

[3] ينظر: جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، ط3،1992، ص332.

المبحث الثاني : النص القرآني من منظور صوتي

1- غايات التصوير الفني في القرآن:

الصورة القرآنية عموما والتصوير الفني في القرآن الكريم ذو دلالات دينية ونفسية قبل أن يكونا ذا بعد جمالي فحسب، فالتدبر في آيات الله عز وجل من خلال اللمحات البلاغية التي تؤدي مؤدا لا يستطيع أي أسلوب مغاير سواءا على مستوى الاية أو الكلمة أو حتى الحروف أن يؤديه بنفس الثقل والعمق الدلالي والايحائي، يجعل التذوق لتلك الآيات والنصوص القرآنية تذوقا وجدانيا وحسيا، فترى العين المشاهد شاخصة أمامها، وتسمع الاذن الأصوات من خلال الاجراس والايقاع ويكاد يتذوق اللسان طعم الموصوفات عبر براعة الوصف والتشبيه، ومن بين غايات التصوير نذكر:

- التكثيف الدلالي من خلال الايجاز في التعبير واختصار المسافات الطويلة ، فما يُؤدى في عدة جمل أو سطور قد يؤدي في صورة أو مثل أو تشبيه، فالقليل يؤدي الكثير بالاعتماد على الخيال، وهنا تحفيز ودعوة لتفاعل المتلقي من خلال فكره الإبداعي ومخزون ذكرياته في تمثل وتخيل أبعاد الصورة، وهذا أسلوب اعتمده الله عز وجل من خلال الايجاز والاضمار المقصود في بعض آيات التنزيل الحكيم.
- التصوير الفني واعتماد الصور القرآنية كالكنايات والتشبيهات يضيف تأثيرا حسيا إلى جانب ذلك الوجداني، حتى يصل الن إلى المتلقي عبر أكبر قدر من المنافذ التواصلية (الحسية و الوجدانية) وهذا من شأنه أن يزيد وضوح ورسوخ الرسالة أو النص.
- التصوير الفني في القرآن يترك اثرا ، فلطالما كانت الامثال التي يضربها المولى عز وجل في وعظ الخلائق أشد تأثيرا وأبقى أثرا ، فقوله:" { مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم} سورة البقرة الاية 261، يجعل من المتصدق أو المزكي لأمواله يتذكر تلك الصورة المادية – للحبة الي أنبتت السنبلات السع التي ينبثق عن كل

منها مائة حبة– ويتواصل تأثره بتلك الصورة المادية ماظلت– الصورة– تتشكل وتشع بالحياة في خياله.

- يعتبر التصوير في حد ذاته أداة من أدوات البيان ووجها من وجوه الاعجاز، وشواهد القرآنية التي تزخر باللطائف المعجزة في لفظها أو وزنها أو ترتيبها ، أو تناسق حروفها وعباراتها ، كل ذلك من جهة ومؤداها وغرضها من جهة أخرى كثيرة ، في حين أن البشر في مرات كثيرة يضطرون للتنازل عن بعض الأفكار التي يريدون التعبير عنها بسبب عدم إيجاد ما يقابلها ويعبر عن ألفاظ أو تراكيب وفي هذا السياق قيل:" طبيعة الانسان أنه لا يستطيع أن يطوع ألفاظ اللغة لكل ما يتصوره من دقائق المعاني والاخْيِلة، فهو كثيرا ما يضطر أن ينزل عن بساط خياله المحلق ، لاحقا بكلمة هي دون خياله الحالم، ولكنه لا يجد من حوله سواها، فيضطر أن يهبط على مستواها ، وبذلك يفسد سير فكر تصوراته ، غيرر أن القرآن لا يعجزه أن تكون الكلمة دائما في مستوى المعنى المراد على ادق وجه" [1].
- التأثير الحسي الذي يخلفه التصوير الفني يزيد إلى تلك المعاني الذهينة قربا إلى العقل والوجدان معا ، حيث غالبا ماتكون المعاني المجرة أقل قدرة على إيصال الوقائع حتى تتصل بصور حسية ، وفي هذا يقول" سيد قطب" :" إن المعاني في الطريقة الأولى ، تخاطب الذهن والوعي ، وتصل إليهما مجردة من ظلالها الجميلة... وفي الطريقة الثاني ، تخاطب الحس والوجدان ، وتصل إلى النفس من منافذ شتى من الحواس بالتخييل ، ومن الوجدان المنفعل بالاصداء والاضواء ، ويكون الذهن منفذا واحدا من منافذها الكثيرة إلى النفس ، لا منفذها الوحيد"[2]
- الصورة القرآنية متواصلة ومترابطة لتوضيح الدينية المطلوبة من وراء الصورة المحسوسة ، فتصبح بذلك طريقة لبناء الانسان ، فكرا وشعورا وسلوكا ، من خلال

[1] البوطي: من روائع القرآن ، ص177.

[2] سيد قطب: التصوير الفني في القرآن ، ص242.

رؤية إسلامية مجسدة في الصورة الفنية ، خاصة إذا ما ارتبطت بموضوع القصص القرآني الذي يعتبر هو آخر نوع من أنواع بناء السلوك الإنساني.

المبحث الثاني : النص القرآني من منظور صوتي

1-النص القرآني من منظور صوتي :

يعد الصوت في القرآن الكريم من أهم العلوم التي اعتنى بها العلماء فسخروا لها الجهود لإبراز مدى تفاعل الأصوات مع معانيها ومدى تلاؤم وتناغم التراكيب حتى تجري على اللسان في انسجام واتساق ، وهذه البلاغة الصوتية تتميز في بعض أساليب أدائها بالسلاسة والتوازن وهذه سمة تبلغ قمة التحقق في القرآن الكريم ، ويجمع علماء اللغة من القدماء والمحدثين على أن سر أسلوب القرآن هو في مخارج الحروف، وفي هذا يقول الرافعي:" إن تتابع الأصوات على نسب معينة بين مخارج الاحرف المختلفة هو بلاغة اللغة الطبيعية خلقت في نفس الانسان"[1].

إن للصوت اللغوي أهمية في دراسة النص القرآني ، من حيث أنه البنية اللغوية الصغرى المكونة للكلمات والتراكيب والايات، إلى جانب ذلك فهو عنصر أساس في الاعجاز القرآني، والقرآن ينتقي الأصوات اللغوية بحسب الدلالات قصد تجسيد المعاني في أحسن صورة، فالصوت القرآني يتسم بقوة التأثير انطلاقا من سهولة الأصوات حين ائتلافها واحساس الاذن بعذوبتها حين الترتيل والتجويد، إن حلاوة القرآن القرآن وجماله نابعة من ألفاظه من حيث هي أصوات، توحي إلى السمع بتأثيرات تجعل المعنى قريبا إلى فهم المتلقي ، ولو أن ألفاظ القرآن تستوي كلها في الفصاحة إلا أن الأساس في ذلك يكمن في انتقاء الأصوات المناسبة في تأدية المعنى في كل مناحيه، سعيا وراء الدقة في التصوير مع ما يتناسب والسياق والموقف، فالانتقاء يكون دلاليا بواسطة توظيف البنية الصوتية الدالة على المعنى بايقاعها وجرسها وإيماءاتها .

[1] مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن الكريم، دار الارقم بن أبي الارقم، 2007، ص173.

فالاعجاز الصوتي في القرآن الكريم أتى على هيئة خاصة من التشكل أو البناء الصوتي، سواء أكان ذلك في كلماته أو جمله أو آياته، أو على مستوى إيقاع السور بأكملها، ومدى ملائمة ذلك واتساقه وانسجامه مع المعاني التي تهدف إليها السورة، وعلى نحو من الموائمة والمطابقة العجيبة التي لا يمكن أن تحدث في كلام البشر بهذه من الدرجة من التطابق والتناسب لمعاني الكلام" [1] ، ويؤدي هذا الجمال الصوتي الناشئ عن الاتساق والانسجام بين أصوات الكلمة والكلمات في الجملة إلى سرعة دخول المعنى إلى العقل، لأن الاذن تتلذذه، وترتاح إليه، كما تتمتع العين برؤية المنظر الجميل.

إن إيقاع اللفظ المفرد، وتناغم الكلمة الواحدة ، عبارة عن جرس موسيقي للصوت فيما يجلبه من وقع في الاذن، أو أثر عند المتلقي، يساعد على تنبيه الاحاسيس في النفس الإنسانية، لهذا اكان ما أورد القرآن الكريم في هذا السياق متجاوبًا مع معطيات الدلالة الصوتية " التي تستمد من طبيعة الأصوات نغمتها وجرسها "[2]، فتأتي بأثر موسيقي خاص، يستنبط من ضم الحروف بعضها لبعض، ويستقرأ من خلال تشابك النص الادبي في عبارته، فيعطي مدلولا متميزا في مجالات عدة: الألم، البهجة، اليأس، الرجاء، الرغبة، الرهبة، الوعد، الوعيد، الإنذار، التوقع، الترصد، التلبث...إلخ.

ولا شك أن استقلالية أية كلمة بحروف معينة، يكسبها صوتيا ذائقة سمعية منفردة، تختلف دون شك– عما سواها من الكلمات التي تؤدي المعنى نفسه–،مما يجعل كلمة ما دون كلمة وإن اتحدا بالمعنى ، لها استقلاليتها الصوتية، إما في الصدى المؤثر، وإما في البعد الصوتي الخاص، وإما بتكثيف المعنى بزيادة المبنى، وإما باقبال العاطفة ، وإما بزيادة التوقع، فهي حينًا تصك السمع، وحينا تهيئ النفس، وحينا تضفي صيغة التأثر؛ فزعا من شيء، أو توجها لشيء، أو طمعا في شيء، وهكذا...

[1] عبد الحميد هنداوي: الاعجاز الصوتي في القرآن الكريم، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ا2004، ص13.

[2] إبراهيم أنيس: دلالة الالفاظ، مكتبة الانجلو المصرية، ط5، 1984، ص46.

هذا المناخ الحافل تضفيه الدلالة الصوتية للألفاظ، وهي تشكل في القرآن الوقع الخاص المتجلي بكلمات مختارة، تكونت من حروف مختارة، فشكلت أصواتا مختارة، هذه السمات في القرآن الكريم بارزة الصيغ في مئات التراكيب الصوتية في مظاهر شتى، ومجالات عديدة، تستوعبها جمهرة هائلة من ألفاظه في ظلال مكثفة في الجرس والنغم والصدى والايقاع.

قال الخطابي :" إن الكلام انما يقوم بأشياء ثلاثة:" لفظ حاصل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم، وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة ، حتى لا ترى شيئا من الالفاظ أفصح، ولا اجزل، ولا أعذب من ألفاظه"[1].

وهذا مما ينطبق على استحياء الدلالة الصوتية في القرآن بجميع الابعاد، يضاف إليه الوقع السمعي للفظ، والتأثير النفسي للكلمة، والمدلول الانفعالي بالحدث، وتلك مظاهر متأنقة قد يتعذر حصرها، وقد يطول الوقوف عند استقصائها.

وكان من فضيلة القرآن الصوتية أن استوعب جميع مظاهر الدلالة في مجالاتها الواسعة، وتمرس في استفياء وجود التعبير عنها بمختلف الصور الناطقة، وقد يكون من الممكن استحضار جميع الصيغ في استعمالات منها ، أو مايبدور أنه مهم في الأقل، وذلك باستطراد بعض النماذج النابضة فيما نخال ونزعم، وقد يعبر كل نموذج منها عن مظهر فني، ليقاس مثله عليه، وشبيهه به، وبذلك يتأثر للباحث والمتلقي إلقاء الضوء الكاشف على أبعاد دلالة القرآن الصوتيى ، في تشعب جوانبها ، وعظمة انطلاقها، مما يكون معجما لغويا خاصا بمفرداتها، وقاموسا صوتيا حافلا بامكاناتها.

إن المتناهي في الفصاحة والعلم بالاساليب التي يقع فيها التفاحص متى سمع القرآن عرف أنه معجز[2]، وإن اعجاز القرآن الكريم إنما هو في رصفه ونظمه في قليله وكثيره ،

[1] الخطابي: تح: محمد خلف الله ، محمد زغلول سلام، بيان اعجاز القرآن، دار المعارف ، ط3، مصر، 1976م، ص27.

[2] أبو بكر الباقلاني: إعجاز القرآن في حاشية الاتقان للسيوطي، دار مكتبة الهلال، ج1، بيروت ، لبنان، د ت ، ص35.

وهذا النظم يشتمل بلا ريب كل حرف في القرآن ، فالنظم والرصف يبدأ من نظم ورصف الاحرف في الكلمات أو اقل اختيار كلمات مشتملة على أحرف مخصوصة، ومن ثم يقع الاعجاز والتحدي برصف هذه الاحرف ونظمها في نسق خاص، تدل على معاني القرآن وأسراره.

ومن ثم ورد عن ابن عطية في المحرر الوجيز في قوله:" لو نزعت حرفا من القرآن ثم أدرت اللغة من ألفها إلى يائها لتجد ما يسده ، فلن تجد"[1]، ومن ثمة فإن المقصود بالاعجاز الصوتي للقرآن مجيئه على هيئة خاصة من جهة البناء الصوتي ، أو التشكيل الصوتي سواء لكلماته أو جمله أو آياته، أو على المستوى الموسيقي أو الايقاعي في السورة بأسرها، ومدى موافقة ذلك واتساقه وتلاؤمه مع المعاني والمقاصد التي تقصد إليها السورة على نحو من المطابقة والموافقة والموائمة لمعاني الكلام"[2].

وعن هذا –اعجاز النظم الموسيقي– تحدث مصطفى صادق الرافعي ، حيث قال: "وحسبك بهذا اعتبارًا في اعجاز النظم الموسيقي في القرآن الكريم، وأنه مما لا يتعلق به أحد، لترتيب حروفه باعتبار من أصواتها ومخارجها و مناسبة ذلك لبعضه مناسبة طبيعية في الهمس والجهر، والشدة والرخاوة، والتنغيم والترقيق، والتفشي والتكرير، وغير ذلك"[3].

ويضيف أيضا:" وليس ينفي أن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، وأن هذا الانفعال بطبيعته انما هو سبب في تنويع الوت بما يخرج فيه مدًّا أو غنّةً أو لينا أو شدة، وبما يهيئ له من الحركات المختلفة في اضطرابه، وتتابعه على معايير تناسب ما في النفس من أصولها ، ثم هو يجعل الصوت إلى الايجاز والاجتماع أو الاطناب والبسط، مقدرا ما

[1] ينظر : هنداوي عبد الحميد، الاعجاز الصوتي في القرآن الكريم، الدار الثقافية للنشر، ط1، القاهرة، 2004، ص13.
[2] نفسه ، ص13.
[3] مصطفى صادق الرافعي: اعجاز القرآن الكريم، المكتبة التجارية الكبرى، ط8، القاهرة، 1965م، ص177.

يكسبه من الحدة والارتفاع والاهتزاز وبعد المدى ونحوها مما هو بلاغة الصوت في لغة الموسيقى"[1].

لا يختلف اثنان فيما يتسم به القرآن من روعة وجاذبية أساسها جمال الإيقاع وحلاوته، كما أن جانبا كبيرا من هذا الجمال يعود على ما في الأصوات من تناسب وحسن ائتلاف في النسيج الصوتي لآيات القرآن.

إن حلاوة النظم القرآني حقيقة ثابتة شهد له بها أعداؤه الكفار من العرب منذ بداية نزول الوحي على سيدنا محمد صلى لاله عليه وسلم.

لقد سمى العرب القرآن شعرا، وتسميتهم له بهذا الاسم نابعة من احساسهم بحلاوته، فهم بذلك يهدفون إلى صد الناس عن الايمان به، وادعاؤهم هذا قائم على مابين الشعر والقرآن من شبه، قال ابن تيمية:" وشبهة الشعر أن القرآن موزون، والشعر موزون، ولكن القرآن ليس شعرا " [2].

إن لروعة جمال الإيقاع وحلاوته أثرا بالغا في اكساب القرآن الكريم روعة وجاذبية خاصة، كما أن جانبا كبيرا من هذا الجمال الايقاعي مردّه إلى تناسب الأصوات وحسن تآلفها في النسيج الصوتي لنظم الايات.

فالايقاع القرآني يضفي على شكل الايات والسور مسحة من الجمال والمتعة تتناسب مع المعاني الربانية المعجزة .

2- الإيقاع في القرآن الكريم :

الإيقاع في القرآن الكريم يصنعه الصوت الناتج عن براعة النظم والتأليف والترتيب الدقيق للكلام الجيد الحسن، فإذا توخينا تحديد ظاهرة الإيقاع لأنها جزء لا يتجزأ منه فنجده

[1] المرجع السابق، ص177-178.

[2] ابن تيمية : كتاب النبوات، دار الفكر، بيروت، 1346هـ، ص20

مرتبط بأصغر وحدة تركيبية وهي الكلمة إلى الصياغة وخاصة عندما يتعلق الامر بالقرآن الكريم.

فالايقاع يحقق الجمالية التأثيرية التي تصل أحيانا إلى حد التأثير في جسم الانسان، التي تربط بين المتلقي المالك للحس المرهف وبين الأثر المنتج لذلك الإيقاع الفعال:" ولعل ما يفسر هذا هو أن الإيقاع ينتظم متواليا، رغم وجود ذلك التغاير الكيفي في بنائه، بصرف النظر عن الاختلاف الصوتي"[1]، وبهذا يكون الإيقاع موجودًا في جميع الفنون مع وجود متغيرات كثيرة معينة من فن لآخر وتظهر أكثر في الموسيقى .

لقد بين السيد قطب بعض الأسباب التي حملت على الانبهار من القرآن الكريم بإيقاعه وجماله اللفظي والمعنوي، فقال:" إن القرآن الكريم قد راع خيالهم، بما فيه من تصوير بارع، وقد سحر وجدانهم بما فيه من منطق ساحر، وأخذ أسماعهم بما فيه من إيقاع جميل وتلك هي خصائص الشعر الأساسية، إذا نحن أغفلنا القافية والتفاعل "[2] على أن النسق القرآني قد جمع بين مزايا النثر والشعر جميعا .

إن الإيقاع في القرآن الكريم يخلف عن الإيقاع في غيره من الكلام سواء كان نثرا أو شعرًا، كما أنه يتعدد ويتنوع من سورة إلى أخرى، وكغيره من سمات التعبير القرآني يفترق الإيقاع في التنزيل الحكيم، وهذا تبعا لنظام الفواصل والقوافي في السورة الواحدة، وحتى يكون متناسقا ومتناسبا مع الجو العام الذي جاءت في سياقه السور و الايات، فنجد من ذلك ماهو سريع يأتي فيه الإيقاع سريعا وقويا، وماهو بطيء ورخي ، وماهو طويل وماهو قصير"[3].

يعتمد الإيقاع القرآني في مستواه الخارجي على الجانب الصوتي المتولّد من تناسق الحروف، من حيث مخارجها ، وصفاتها ، وحركاتها ومن أوزان الكلمات، والفواصل القرآنية، وضروب البديع، والتوازن بين الجمل والعبارات.

---

[1] ينظر : عز الدين إسماعيل: الأسس الجمالية في النقد الادبي، دار الفكر العربي، القاهرة ، 2000، ص101-102.

[2] سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم، ص85.

[3] ينظر: صلاح الخالدي: نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، ص169-170-171-172.

أما الإيقاع الداخلي فهو حركة منتظمة في بناء السورة كلها تميزها عن بقية السور الأخرى، وهذه االحركة الداخلية لا يتم ادراكها من خلال حاسة السمع، لأنها حركة غير صوتية، وإنما تدرك من خلال فهم متكامل لنمو الحركة الايقاعية داخل البناء الكلي للسورة الواحدة.

فالمتأمل للغة القرآن يلمس خصوصية تميز لغة هذا الكتاب، فإذا كانت الاذن هي أداة التذوق الموسيقي، فإن السامع لتلاوة القرآن يجد إحساسا مميزًا لا يجده عندمنا يسمع كلاما آخر، يستوي في ذلك العربي وغير العربي.

والقرآن ليس ألفاظا وعبارات جوفاء ، وإنما القرآن معان وإيقاعات تتحد فيما بينها محققة ذلك الجمال الايقاعي البديع، إذ الصوت آلة اللفظ على حد قول الجاحظ ".[1]

لقد انبهر العرب بحلاوة النظم القرآني وبجمال إيقاعه، فأسر ألبابهم وعواطفهم على الرغم مما عرفوا به من فصاحة اللسان وقوة البيان، فراحوا يفونه بصفات الشعر، ولما لمسوه من انسجام في مقاطعه، وجودة في موسيقاه، بيد أن البون شاسع بين الاثنين، فإذا كان العرب القدامى عدّوا القرآن شعرًا، فذلك راجع لقور في عقولهم وضعف في ادراكهم ، وميلهم الشديد بحكم بساطة فطرتهم إلى العاطفة والوجدان .

إن القرآن الكريم حتى وإن اشترك مع الشعر العربي في بعض الصفات كالوزن وبعض القوافي أو ما يعرف في القرآن بالفواصل، فهو أسمى من الشعر وأرفع منه قدرًا ، وهذا اجنب من جوانب الاعجاز فيه.

المبحث الثالث: مفهوم قصص القرآن الكريم

1- مفهوم قصص القرآن الكريم:

القرآن الكريم أطلق لفظ "القص" في القرآن الكريم على كل ماورد من أبناء القرون الغابرة، مصورا ما كان يقع من بين قوى الخير والشر، والقصص القرآني هو أنباء وأخبار

[1] الجاحظ : البيان والتبيين، تح ، فوزي عطوي، دار صعب، ج1، ط1، بيروت، 1968، ص80.

تاريخية، لم يختلط به شيء من الخيال، ولم يدخل عليه شيء من الزيف، ورغم احتوائه على حقائق تاريخية مطقة، لم يمنع ذلك من اشتماله على عنصر الاثارة والتشويق [1].

وقصص القرآن الكريم" يعكس حياة الرسل والأمم التي كانوا يحييونها، ويصور الحالات النفسية للأفراد والشعوب، ويجلو الحقائق الدينية والاجتماعية في نسق من الأداء العجيب، ويعرضها عرضًا بديعًا، يعتمد على قوة الحق، وفنية البيان"[2].

ويرى بعض العلماء بأن القصص القرآني هو ما اشتمل على أنباء وأخبار القرون الأولى التي رحلت مع الزمن، والبعض الاخر من العلماء يرى كل الحوادث الدائرة في محيط الدعوة الإسلامية من القصص القرآني[3] ورغم هذا الاختلاف إلا أنهم يُجمعون على صحة هذا القصص حتى إن" علم التاريخ الاصطلاحي لا يمكن أن يأتي بحقيقة تخالق ماجاء في قصة من القصص التي ذكرها القرآن الكريم"[4].

وهاته القصص الحقيقية وعاها القرآن الكريم" من قصص الاولين من أنبيائهم ، وجدد على الناس ذكرها بعدما طولت الليالي أصحابها فلكي يداوي على متشابهه" [5].

ويعتبر القصص القرآني" تاريخا لسير الدعوة الدينية في الحياة، وكيف خطت مجراها بين الناس منذ فجر الخليقة؟ وما العقبات التي اعترضتها ، وهل وقفت عندها، أو تغلب عليها، وما وضع الأنبياء بإزائها، وكيف قبلت الأمم المدعوة رسالات الله أوصدت عنها ، وبم انتهى الصراع بين الغي والرشد"[6].

---

[1] ينظر: لخصر العارابي: مفهوم القصة القرآنية وأغراضها عند السابقين والمعاصرين، مؤسسة كتاب، وهران، الجزائر، ط1، 2002، ص11-12.

[2] العرابي لخضر: الدراسة الفنية المعارة للقصة القرآنية، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران ، الجزائر، 2005، ص07-08.

[3] ينظر : لخضر العرابي: مفهوم القصة القرآنية وأغراضها عند السابقين والمعاصرين، ص21.

[4] محمد الغزالي: نظرات في القرآن ، نهضة مصر، ط6، مصر، يوليو2005، ص101.

[5] المرجع نفسه، ص96.

[6] نفسه، ص95.

قال صاحب الشهاب:" يتناول القرآن الكريم قصص الأنبياء والمرسلين ونذكر طرفا من معجزاتهم"[1]، وذلك وفق أسلوب معجز.

وأسلوب القرآن الكريم في اخباره عن الأمم الأولى ، وبما وقع منها ، وما وقع عليها، فهو يسوق لنا عوامل الرفعة والهبوط، والبقاء والزوال، على أنهما سنن كونية لا تتخلق، طبقت على المتقدمين وتطبق على المتأخرين، وهاته الجمل– سنن الله الكونية في قيام الأمم وفنائها– هي روح القصص القرآني[2].

وخلاصة الامر هي أن قصص القرآن الكريم قطع من الحياة الماضية، وهي قصص واقعية ليست خيالية أو ملفقّة، لم يذكرها القرآن الكريم للتسلية أو كسرد تاريخي، إنما ذكرها لأغراض معينة.

2- الغرض من القصص القرآني :

القرآن الكريم عندما يذكر لنا أحوال الأمم الماضية، ويجدد على الناس ذكرها بعدما طوت الليالي أصحابها، فلكي يعتبرها ويقاس عليها أحوال الأمم المستقبلة، فمن كان من أهل الكفر قيس بهم، وعلم أن الله يشقيه في الدنيا والأخرة ، ومن كان من أهل الايمان قيس بهم، وعلم الله يسعده في الدنيا والاخرة [3].

والقصص القرآني له دور كبير في مجال الدعوة والتربية " إن القصة هي المدخل الطبيعي الذي يدخل منه أصحاب الرسالات والدعوات إلى قلوب الناس وعقولهم، ليلقوا فيما يريدون من معتقدات وآراء...

[1]محمد الغزالي: نظرات في القرآن ، ص101.

[2]المرجع نفسه ، ص101.

[3]ينظر : ابن تيمية : الفتاوى، مكتبة المعارف ، ط1، الرباط، المغرب، د ت ن ص15-16.

القصة القرآنية ركيزة قوية من ركائز الدعوة الإسلامية القائمة على الاطمئنان القلبي، والاقناع العقلي، فالقصص هو أحد الأساليب التي احملها القرآن ليحاج بها الناس، وليقطعهم عن الجدل وبدقة التعبير وقوة المعاني " [1].

والقصة القرآنية سواء كانت " مفردة أو متكررة ، فهي في السياق القرآني أداة تربية ومصدر توجيه ووعظ يدعم الفرد والجماعة"[2].

ومن هنا نرى أن عملية وطريقة تربية ، وتوجيه ، ووعظ الفرد والجماعة التي اتبعها القرآن الكريم هي باسترجاعه قطعا من الحياة الماضية، " استرجعها الوحي الأعلى للتعليم والاعتبار" [3].

وقد كثرت القصص في القرآن الكريم سواء كانت مفردة أو متكررة ، وذلك لم يكن عبثا أو للتسلية ، إنما ذكرت" لتحصي جملة كبيرة من الامراض الاجتماعية، وتستأصل جرثومتها بصنوف العبر وشتى النذر".[4]

وتعتبر القصة القرآنية من أنجح الطرق التي اتبعها القرآن الكريم في تأديب النفوس ، وسياسة الجماعات، والمحاورات النابضة التي أثبتها هي معالم خالدة لضبط الحقيقة وتوليد العبرة منها.

وبذلك كان القص الحسن من أبرز الأساليب القرآنية في شرح الإسلام وبيان رسالته، ومزج تعاليمه بالقلوب والقرآن الكريم- وهو يحكي أنباء الاولين-، يحولها إلى دواء سائل عام، ثم يسكب من قطراته على نفوس المعاندين، ينبغي شفاؤها دُونَ نظر إلى تراخي القرون واختلاف المخاطبين"[5].

---

[1] لخضر العرابي: الدراسة الفنية المعاصرة للقصة القرآنية، ص12-23.

[2] محمد الغزالي: المحاور الخمسة للقرآن الكريم، دار الشروق، د ت، ص89.

[3] المرجع نفسه، ص89.

[4] محمد الغزالي : نظرات في القرآن ، ص96.

[5] ينظر، المرجع نفسه، ص95-96.

نستنبط مما سبق أن القصص القرآني لم " يكن سردا تاريخيا كما هو الحال في قصص التوراة الذي تخلله الوعظ والإرشاد والتبشر والانذار، بل والذي جاء سبكه وعظا وارشادا وتبشيرا وانذارا، ثم في سياق إيراد القصص عقب التذكير والتنذير والتطمين، والموعظة وحكاية مواقف الكفار وعنادهم وحجاجهم أو بين يدي ذلك"[1].

ومن هنا نرى أن القصة القرآنية لم تكن مجرد سرد لبعض الروايات والوقائع التاريخية القديمة، ولم يسقها القرآن الكريم للتسلية، وإنما " لنشر أغراضه الأخلاقية السامية بين الافراد والشعوب"[2].

ومن بين أغراضه الدينية" إثبات الوحي والرسالة... الإشارة إلى وحدة الأديان السماوية... بيان الغرض من دعوة الرسل...موقف الأمم من الأنبياء الكرام ... الترابط الوثيق بين الشرائع والأديان... النصر للرسل والهلك للمكذبين... عاقبة الخير والصلاح وعاقبة الشر والفساد"[3].

ويربي سيد قطب أن من أغراض القصة القرآنية اثبات الوحي والرسالة ، فمحمد صلى الله عليه وسلم لم يكن كاتبا ولا قارئا، ولم يعرف عنه أنه كان يجلس على أحبار اليهود والنصارى، فُورود القصص في القرآن الكريم اتخذ دليلا على وحي يوحى، والقرآن الكريم ينص على هذا الغرض نصّا في مقدمات بعض القصص أو ذُيولها"[4].

وهناك أغراض أخرى للقصة القرآنية ، تطرق إليها مجموعة من الدراسين القدامى ، والدارسين المعاصرين ، نوجزها فييما يلي:

---

[1] محمد عزة دروزة: القرآن المجيد تنزيله وأسلوبه وأثره وجمعه وتدوينه وترتيبه وقرائته ورسمه ومحكمه ومتشابهه وقصصه وغيبياته وتعليقات على مناهج مفسريه والطريقة المثلى لفهمه وتفسيره، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، لبنان، د ت ، ص177.

[2] لخضر العرابي: الدراسة الفنية المعاصرة للقصة القرآنية، ص308.

[3] محمد علي الصابوني : النبوة والانبياء، مكتبة الغزالي،ط3، دمشق ، سوريا، 1985، ص106-107.

[4] ينظر : سيد قطب، التصوير الفني في القرآن ، دار الشروق ، د ت ، ص118-119.

عند الدارسين القدامى نجد الأغراض التاريخية ، الأغراض الفقهية ، الأغراض المذهبية في المنهج التأويلي، وتنطوي تحته عدة أغراض، وهي الأغراض الاعتزالية ، والاغراض الصوفية، الأغراض الكلامية أو الفلسفية.

أما أغراضها عند الدارسين المعاصرين ، فتنحصر في اتجاهين ، هما :

أولا: الاتجاه التربوي الاصطلاحي ، ومن بين أغراضه نجد: الأغراض التاريخية والاغراض الدينية والاغراض التربوية.

ثانيا: الاتجاه الادبي؛ وأغراضه ؛ هي الأغراض الفنية والاغراض الفلسفية [1] بالاضافة إلى الغرض الديني للقة القرآنية يرى سيد قطب أن هناك غرض ديني وغرض فني، يقول في هذا الصدد:" إن التعبير القرآني يؤلف بين الغرض الديني والغرض الفني ، فيما يعرضه من الصور والمشاهد ، بل لا حظنا أنه يجعل الجمال الفني أداة مقصورة للتأثير الوجداني ، فيخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية، والفن والدين صنوان في أعماق النفس وقرارة الحس، وإدراك الجمال الفني دليل استعداد لتلقي التأثير الديني ، حين يرتفع الفن إلى هذا المستوى الرفيع، وحين تصفو النفس لتلقي رسالة الجمال"[2].

من خلال ماسبق يتضح لنا أن " القصة في القرآن الكريم ليست عملا فنيا مستقلا في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه، كما هو الشأن في القصة الفنية الحرة، التي ترمي إلى أداء غرض فني طليق، إنما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدينية"[3].

ويرى سيد قطب أن القرآن الكريم رغم مزاوجته بين الفن والدين يبقى كتاب دعوة دينية قبل كل شيء، استعمل القصة كوسيلة من بين وسائله لابلاغ هذه الدعوة وتثبيتها، شأنها في

[1] ينظر : لخضر العرابي ، مفهوم القصة القرآنية وأغراضها عند السابقين والمعاصرين، ص36 –120.
[2] سيد قطب : التصوي الفني في القرآن ، ص117–118.
[3] المرجع نفسه ، ص117.

ذلك شأن الصور التي يرسمها للقيامة والنعيم... إلى آخر ماجاء في القرآن من موضوعات[1].

3- التصوير الصوتي للحدث القصصي:

يعد عنصر الحدث من أهم العناصر في القصص القرآنية كلّها ، فهو موجود في كل قصة سواء أكانت طويلة أن قصيرة أم بين بين، وسواء أكانت من قصص الأنبياء أم غيرهم، وسواء أكانت موزعة لحلقات أم معروضة في معرض واحد، وسواء اعتمدت على طريقة السرد فحسب أم على طريقة السرد والحوار معا، فهو عنصر ضروري لا تقوم القصة إلا به ولا تتكون إلا معلى وجوده[2].

وإذا كنا نرى القصة الفنية تتكون من مجموعة من الاحداث والوقائع يؤلف بينها الاديب القاص على نحو بعينه فإن القرآن الكريم ، قد سبق إلى ذلك حين أورد كل قصة بطريقة منطقية معجزة تتسلسل إلى أن تنتهي إلى النتائج والاغراض المقصودة ، والقصص القرآنية لا تعرض من الاحداث إلا ماكان مثلا بالماضي وآثار السابقين لأن تتبع الاحداث الماضية، وعرض أنباء الاولين هو الذي يحقق المقصود من هذه القصص[3].

وإذ يشتمل عنصر الحدث على صور عديدة من الحوار الجدل الذي تنشأ عنه أزمة الحدث أو عقدته' فإن القصص القرآنية لم يعمد في عرض هذه الاحداث على عنصر الخيال الذي من شأنه أن يلون الاحداث بغير ألوانها أو أن يبدل ويغر من صورها وأشكالها[4].

---

[1]ينظر : المرجع السابق، ص117.

[2]عبد الجواد محمد الحمص، أدب القصة في القرآن الكريم، دراسة تحليلي كاشفة عن عالم الاعجاز ا، الدار المصريى ، سلسلة الدراسات القرآنية، الإسكندرية، 2000، ص134.

[3]ينظر: محمد أحمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن الكريم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط2، 1975، ص288.

[4]ينظر : المصدر نفسه، ص228.

إن أحداث القصة مرتبطة بشخصياتها غالبا، والقرآن الكريم له طريقته الخاصة في عرض أحداث القصة، فهو لا يعرضها في مكان واحد، بل يقسمها إلى حلقات، فيعرض الحلقة المناسبة منها في السياق المتسق معها ، تحقيقا لغاية القرآن في هداية الانسان ودعوته إلى الاستقامة على شرع الله ، وهذه الغاية منه، تقتضي أن يخاطب الانسان بأساليب شتّى لاقناعه والتأثير فيه، فيعرض عليه الفكرة عرضا مباشرا، ثم يدعمها بمشهد من مشاهد الطبيعة أو مشهد من قصص الاولين، أو بمشهد من مشاهد يوم القيامة... وهكذا يجري التعبير في القرآن الكريم منوعا في أساليبه الأدبية لتحقيق التأثير والاقناع في الانسان المخاطب بهذا القرآن الكريم.

وهذه الحلقات القصصية المعروضة ليست من قبيل التكرار ، وإنما هي طريقة فنية لعرض الفكرة والتأثر في المتلقي، ولو أن هذه الحلقات جمعت من السياقات والانساق المختلفة، لتكون قصة متكاملة بأحداثها وشخصياتها وحوارها ، ضمن نظام العلاقات التعبيرية والتصويرية والفكرية في النص القرآني .

الحدث في القصة القرآنية يرتبط بالشخصية ارتباطا وثيقا ليس الحدث على حركة الشخصية في إطار الزمان والمكان، أو في إطار الفكر والوجدان ، والقصص القرآني وهو يعرض الاحداث والشخصيات الماضية لا يغلب الشخصية على الحدث، بل يلتقي كل من الشخصية والحدث التقاء معجز يتولد منهما معا مضمون مقصود" فالشخصية تؤدي دورها كشاهد من الشواهد الإنسانية من ايمان ومدى إلى غير ذلك من الأحوال والحدث كذلك يوم يقوم بدوره في القصة تظهر فيه حقيقة الشخصيات ودرجات الناس، ومن الشخصية والحدث معا، نخلص إلى مضمون المراد من كل موقف، أو من المواقف المتصلة المترابطة معا"[1].

إن سير الاحداث يتم وفق السبب والمسبب،" بحيث لا يجري حدث إلا من نتيجة لحدث سابق أو مؤثر سابق، سواء أكان المؤثر ظاهرا أو مبهما غامضا، هذا لايعني أن تسلسل الاحداث تسلسلا رتيبا متوقعا ، قد تأتي غير مستلسلة وقد تبدو متناقضة في الظاهر ، ولكن

[1] عبد الكريم الخطيب: القصص القرآني ومفهومه، دار الفكر العربي، ط1،د ت ، ص40 -41.

هناك خيط يربطها بين أجزائها ويفسر تعاقبها أو عدم تعاقبها" [1]، فهي تشكل حركة الشخصيات لتقدم في النهاية تجربة إنسانية ذات دلالة معينة، " أو هو الحكاية التي تصنعها الشخصية وتكون منها عاملا مستقلا ، له خصوصيته المتميزة" [2].

هذا فيما يخص الحدث، ولكي" تتم السيطرة وإبراز الحدث لابد من رسم المشاهد ووصف المواقع التي تدور فيها الاحداث"[3].

إن الصورة الانفعالية في الخطاب القصصي القرآني نقصد به إما تصوير حالة الشخوص النفسية ووضعهم الانفعالي حيال المواقف الطارئة ، وإما تخييل صورة نفسية ترتسم بذهن المتلقي ، بغية حمله على التأثر الوجداني الذي يساير الاقناع العقلي والتسليم الايماني .

وسننوه هنا إلى جانب رسم التعبير القرآني للملامح النفسية وأثرها في المنحنى التصويري للخطاب القصصي القرآني ، من خلال الوقوف على دوافع الفواعل التي تعكس نماذج بشرية متمايزة، ذلك أن :" ألفاظ القرآن الكريم يترابطها وبتناغمها وانسجامها كفيلة من تباعد الزمان واختلاف الظروف والاحوال، ولا يشعر القارئ بفجوة نفسية ، بل إنه يشعر بأنه يعيش تلك الأجواء بالعواطف والانفعالات التي عاشها من عاصر الحدث..." [4].

فالمدقق لمستويات الأداء الصوتي والدلالي والتركيبي في هذا الخطاب تستوقفه تلك الاضاءات الشعورية البديعة، التي لا تعدو أن تكون امتداد لعالمه النفسي المعقّد، والتي تطفح بطاقات ايحائية رامزة.

---

[1] عبود شراد: المدخل إلى النقد الادبي الحديث، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 1998، ص174.

[2] وادي طه: دراسات في النقد الحديث، دار المعارف ، ط3، 1994، ص198.

[3] محمد يوسف نجم: فن القصة، دار الثقافة ، بيروت، 1979، ص17.

[4] عبد الله محمد الجيوسي: التعبير القرآني والدلالة النفسية، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، ط1، دمشق، 1426هـ-2006م، ص143.

الفصل الثاني

دلالة التصوير الصوتي في سورة النمل

تمهيد

المبحث الأول: المقاطع الصوتية

المبحث الثاني: دلالة الأصوات

تمهيد

يعرف الجاحظ الصوت بقوله "الصوت هو آلة اللفظ. وهو الجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا إلا بظهور الصوت ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع و التأليف"[1].

ونفهم من هذا أن الجاحظ يقر بأهمية وضرورة الصوت في العملية التواصلية والتلفظية ، وبدونه لا يمكننا تكوين عبارات فهو أساس بناء الكلمات ،لذلك يعد المستوى الصوتي phonetical level أول مراحل التحليل اللغوي التي يتبعها علم اللغة الحديث في دراسة اللغة ، فالوحدة الصوتية تمثل اللبنة الأولى في النظام اللغوي لأنها المادة الخام التي تبنى منها الكلمات والعبارات وعلى هذا فإن، أي دراسة تفصيلية للغة ما ، تقتضي دراسة تحليلية لمادتها الأساسية، وأن الأصوات هي المظهر المادي للغة ولا نستطيع أن ندرس المباني الصرفية أو الصيغ قبل أن ندرس الأصوات التي تشكل هذه الصيغ ، فهناك ظواهر صوتية كثيرة لابد من الإلمام بها قبل الخوض في مسائل علم الصرف، وهذا القول ينطبق على النحو فلا يمكن الاهتداء إلى نظرية متكاملة اذ نحن أغفلنا جوانب صوتية مثل النبر[2]."

فالنبر هو إعطاء مقطع من بين مقاطع متتابعة مزيدا من الضغط وهذا الضغط الزائد يجعل المقطع المنبور يتميز بالوضوح النسبي، وقد عرفه تمام حسان بإشاراته إلى الوضوح النسبي بقوله: "النبر هو وضوح نسبي لصوت أو مقطع اذ قورن بتقنية الأصوات والمقاطع في الكلام تمام حسان[3]."

وهذا يعني ان النطق بالمقطع المنظور يصاحبه نشاط كبير في أعضاء النطق ككل، ولنبر أهمية كبيرة في كل لغات البشر، ويراد به التوضيح السمعي لمقطع ما وهو ناتج عن نشاط أعضاء النطق، واهتمت اللغة العربية بالنبر مثال ذلك قولنا: هذا ما أردته

---

[1] الجاحظ: البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط1، ج1، القاهرة،1418هـ-1998م، ص79

[2] فايز صبحي عبد السلام، مستويات التحليل اللغوي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2010، ص35.

[3] تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، مصر، 1990، ص160.

لك يا بني (منفية) / وهذا ما اردته لك يا بني (مثبتة)، (ما) بمعنى (الذي) ونلاحظ أن معناهما يختلف باختلاف موضع النبر من (ما)، وهذا دليل على أن النبر فونيم في اللغة العربية. و"التنغيم intonation ذهب إبراهيم أنيس لتسميته بموسيقى الكلام[1]."

المبحث الأول : المقاطع الصوتية في سورة النمل:

إن سورة (النمل) التي تتكون من "تسع وأربعين ومائة وألف كلمة(1149)، وعدد يصعب في الكثير من الأحيان تحديد حروفها سبعة وستون وسبعمائة وأربعة آلآف (4767)[2] "الوحدة الصوتية من أجل تقسيمها إلى مقاطع صوتية "إذ ليس من السهل في بعض الحالات تحديد معالم الكلمة ومعرفة أين تبتدئ وأين تنتهي أو تقسيمها إلى مقاطع (syllabes) وذلك لأن تحديد الكلمات يقوم على أسس معقدة فالكلمة العربية تتألف في حالتها المجردة من أصوات مقطعية رتيبة تأتي الواحدة منها بجانب الأخرى [3]

وكنموذج لمقطع صوتي في سورة (النمل) حيث يضم كل المقاطع الصوتية باستثناء المقطع الخامس الذي تحتوي عليه السورة أصلا قوله تعالى: ﴿اللَّهإِلَه إِلَّا هو ربالْعرشِ الْعظِيمِ﴾ (النمل:26)

{ا – لْ / لَ – ا / هُ – / لَ – ا / ا – / لَ – ا / هَ – / ا – لْ / لَ – ا / هُ – / و / – َرَ – ب /بُ – لْ / عَ – ر /شِ – لْ / عَ – / ظِ – ي – م}

هذه الآية تكونت من ثماني كلمات:

خمسة أسماء: االله – إله– رب – العرش – العظيم.

أداتان: – إلا.

ضمير: هو.

---

[1] إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، مكتبة النهضة، ط5، مصر،1975، ص13.

[2] أبو الطاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: تنوير المقياس من تفسير ابن عباس، مطبعةة البابي الحلبي وأولاده، ط2، مصر، 1951، ص234.

[3] ريمون طحان : الالسنية العربية، دار الكتاب اللبناني بيروت، ط2، 1981، ص70.

ولقد يصعب تحديد الوحدات كما يصعب ترتيب المقاطع الصوتية التي تخضع لوزن خاص في اللغة، إلا على السماع كعلم العروض في الشعر، ولكن لهذا الأخير تفعيلاته المستعملة والمعروفة.

وعموما فإن هذه الآية قد بلغ عدد مقاطعها سبعة عشر مقطعا متوزعة كالتالي:

- المقاطع القصيرة: ستة (6
- المقاطع المتوسطة المفتوحة: أربعة (4
- المقاطع المتوسطة المغلقة: ستة (6
- مقطع طويل مفتوح: واحد (01.

وترسم بالترتيب كما يلي:

مقطع متوسط مغلق(1/(مقطع متوسط مفتوح(2/(مقطع قصير(3/(مقطع متوسط مفتوح(4/(مقطع قصير(5/(مقطع متوسط مفتوح(6/(مقطع قصير(7/(مقطع متوسط مغلق(8/(مقطع متوسط مفتوح(9/(مقطع قصير(10/(مقطع قصير(11/(مقطع متوسط مغلق(12/(مقطع متوسط مغلق(13/(مقطع متوسط مغلق(14/(مقطع متوسط مغلق(15/(مقطع قصير(16/(مقطع طويل مفتوح(17

ومما يلاحظ أن المقاطع الصوتية المفتوحة التالية: 2-4-6-9(/ / / /) والمتمثلة في حرف اللام الممدودة المتسمة بامتداد الصوت، دلت عل شساعة هذا العرش العظيم، فاللام من الحروف الرخوة الم فتحة مع اتصال الألف الممدودة به.

والمقاطع الصوتية المغلقة: 1-8-12-13-14-15) الْ/الْ/رب/بلْ/عر/شِلْ/) دلت على إيقاع موسيقي واحد، يقابل الإمتداد.

أما المقطع الطويل المفتوح: 17(ظِيم) الذي انتهى بحرف الميم الساكن المنفتح الرخو الشفهي المسبوق بالمد، دل على انتهاء الفاصلة مع السكوت الموحي بالتأمل لعظمة عرشه.

أنواع الفواصل:

إن اجتهادات علماء البديع فيما يتعلق بالفواصل–رغم اختلافاتهم– قائمة على التقسيم التالي :" متواز ومطرف ومتوازن" [1]،حيث اعتمدوا على الوزن وحروف السجع في هذا التقسيم التالي:

– 1– "المتوازي:

إن المتتبع لسورة (النمل) بلمس تواتر فواصل المتوازي، حيث يعد أشرفها: "وهو أن تتفق الكلمتان في الوزن وحروف السجع كقوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ [الغاشية: 13–14].

ومن الآيات التي احتوت على المتوازي قوله تعالى:

﴿فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون (52) وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون (53) ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون (54) أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون (55)

وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون (82) ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون (83)﴾.

لقد تميزت سورة (النمل) بكثافة المتوازي، وبالإعتماد على التشريح المقطعي للوحدات الأخيرة في الآيات يتبين لنا اتفاق الكلمتين وزنا ورويا

يعلمون: [ي – ع/ ل – / م –و – ن](**مقطع متوسط مغلق +مقطع قصير مفتوح + مقطع طويل مفتوح.**

[1] الزركزشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص75.

يتتقون: [يـ – / تـ – / قـ –ن – و ن] **(مقطع متوسط مغلق+مقطع قصير مفتوح+مقطع طويل مفتوح .**

تُبصرون: [تـ – ب/ صـ – / ر–و – ن) **(مقطع متوسط مغلق+مقطع قصير مفتوح+مقطع طويل مفتوح.(**

تجهلون: [تـ – / هـ – / ل– و– ن] **(مقطع متوسط مغلق+مقطع قصير مفتوح+مقطع طويل مفتوح.**

يوقنون :{ يـ –و / قـ – / نـ – و– ن] **(مقطع متوسط مفتوح+مقطع قصير مفتوح+مقطع طويل مفتوح.**

يوزعونن: [يـ – و/ –ز / عـ –و – ن] **(مقطع متوسط مفتوح+مقطع قصير مفتوح+مقطع طويل مفتوح .**

من خلال هذا التطبيق يتضح جليا اتحاد الفاصلتين في الوزن وحرف الروي، وتكونت المجموعة الأولى من مقطع متوسط مغلق متبوع بمقطع قصير مفتوح وختمت بمقطع طويل مفتوح.

أما المجموعة الثانية فقد بدئت بمقطع متوسط مفتوح ليه مقطع قصير مفتوح وانتهت بمقطع طويل مفتوح.

هذه المطابقة في الوزن إذا أردنا أن نضع لها وزنا شعريا عروضيا نقول (فاعلات) تفعيلة بحر الخفيف أو بحر الرمل، بالنسبة للمجموعتين لأن حرف المد في الوزن الشعري يعتبر.

-المتوازن:

لم يكن هناك تلون إيقاعي في الفواصل كما ذكرت سابقا، وليس معنى ذلك أن السورة يوجد فيها التلون تماما، إلا أنه قليل الإستعمال، ومصطلح المتوازن "أن يراع في مقاطع الكلام .

1 الوزن فقط كقوله تعالى: (وَنَمارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرابِيُّ مَبْثُوثَةٌ)

"قال الله تعالى في السورة:

﴿ فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبإ بنبإ يقين (22)إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم (23) ﴾.

إن المطابقة كانت في الوزن دون الروي، وهذا ما يوضحه التشريح التالي :يقِين:[يـ – ق – يـ – /] (مقطع قصير مفتوح+مقطع طويل مفتوح.

عظيم: :[عـ – / ظ – يـ – /] (مقطع قصير مفتوح+مقطع طويل مفتوح).

من خلال التقطيع يتضح لنا أن الفاصلتين اتحدتا وزن واختلفتا رويا، فروي الأولى حرف النون، والثانية حرف الميم، وإذا أردنا أن نضع لهذه الفاصلة وزنا وجدناه (فعول) تفعيلة بحر المتقارب .

وحاشا أن يكون لكلمات القرآن وزن شعري لأنه ليس بشعر, ولكن من باب التبيين فحسب، فحرف الميم الساكن من الحروف الرخوة المنفتحة الشفهية، وحرف النون الساكن من الحروف الرخوة المنفتحة فجمعهما اتحاد المخرج مما يد على الإيقاع المتساوي بينهما.

3-المطرف:

إن نوع هذه الفاصلة غير وارد في سورة النمل تقريبا، ومعناه أن الفاصلتين تتفقان "في 1حروف السجع في الوزن كقوله تعالى)مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً " (فوقارا وأطوارا يجمعهما الوزن وإنما الروي فقط . قال الله تعالى في السورة: ﴿ فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾ [النمل:13-14]

بمجرد النظر في كلمتي (مبين) (المفسدين) نجد اختلافا في عدد الحروف من ثمة نلمس الإختلاف في الوزن ولا نلمسه في الروي حيث تمثل في حرف النون.

ومن خلال تشريح الوحدتين الصوتيتين ظهر لنا الإختلاف الوزني : ين[مـُ – ـِ/ بـِ – يْ – نْ – /] (مقطع قصير مفتوح+مقطع طويل مفتوح).

مفسدين: [مـُ –فْ / سِ – / دِ – يْ – ن /] **(مقطع متوسط مغلق+مقطع قصير مفتوح+مقطع طويل مفتوح**

ملاحظة: بالنسبة للفظة (المفسدين) حذفت (أل) منها لكونه تنتمي إلى الوحدة الصوتية أو أن نضيف لها تاء اللفظة التي قبلها فتكون كالتالي (تُلْمُفْسِدِين) لأن المقطع الصوتي يعتمد على (النطق) أكثر من الرسم.

تكونت كلمة (مبين) من مقطعين، وتكونت كلمة (مفسدين) من ثلاثة مقاطع، حيث زادت عن الأول بمقطع متوسط مغلق (مف).

إن اختلاف وقع في المقطع الأول دون المقاطع الأخرى، والمقطع الأخير وما قبله كانا متشابهين في الفاصلتين، فهذا التماثل يشع بنغم المد والوقف أثناء التلاوة القرآنية، كان الروي واحدا داخل المقطع في كلتا الآيتين مما أوحى بالتشابه في الإيقاع الموسيقي.

إيقاع الفواصل:

إن سور القرآن الكريم تخلو من الفواصل بدءا، فتعتمد على الوزن والروي تارة، وتارة تكتفي بأحدهما، فيتكون ذلك الإيقاع الموسيقي في السورة كلّها، ثم في موضوعاتها وفي فواصلها وألفاظها، ومقاطعها الصوتية. "فالإيقاع الموسيقي منتشر في القرآن جميعه فحيثما تلاه المؤمن أحس بالإيقاع الداخلي في سياقه "

-إن الفواصل في سورة (النمل) متوسطة وطويلة على حساب بنائها العام، فتبدأ بفواصل متوسطة فطويلة، أو طويلة فأطول منها، وأهل البديع يحبذون تساوي الفقرات، كما يحبذون إطالة الفاصلة الأخيرة عما قبلها، وهكذا...

ومن هذه الزاوية وبشيء من التأمل في قوله تعالى:

﴿ ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين (15) وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين (16) ﴾.

إنهما فاصلتان تكونت الفقرة الأولى من خمس عشر كلمة، وتكونت الثانية من ثماني عشرة كلمة، فكانت الفقرة الثانية أطول من الأولى، فهذا الكم الموسيقي الإيقاعي لـ دلالته الواضحة.

وكما يتضح لنا فإن الفقرة الأولى مشتركة بين داود وسليمان -عليهما السلام- واحتوت على نعم الله الجليلة عليهما، وزادت الفقرة الثانية عن الأولى بتعليم سليمان -عليه السلام -منطق الطير، لذا طالت القرينة الثانية بثلاث كلمات عن سابقتها.

إن الفواصل تبنى على الوقف (تسكين الحرف الأخير) حتى وإن اختلف الروي في الشكل فتقابل العلامات دون فرق بينها عند الوقف.

ولا "شك أن كلمة الأسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الأعجاز، موقوفا عليها، لأن ومن أمثلته قوله تعالى: 1 الغرض المجانسة بين القرائن والمزاوجة، ولا يتم ذلك إلا بالوقف ": ﴿ وتفقد الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين ﴾ [النمل:20-21].

إن الراوي واحد وهو حرف النون، إلا أنه مفتوح في الفاصلة الأولى، ومكسور في الفاصلة الثانية حفاظا على المواقع الإعرابية، فالأول مجرور بالباء لأنه جمع مذكّر سالم، والثاني نعت مجرور لكون المنعوت مجرورا، فعند التلاوة تسكن الفواصل ويوقف عليها، حفاظا على الإيقاع الموسيقي القرآني.

3 تتراوح الآيات ين القصر والتوسط والطول، على حساب السورة على حساب غيرها، وعلى حساب الناحية الفيزيولوجية التي تتطلب الوقف حينا عند انتهاء الفاصلة، وحينا قبل انتهائها مرة، أو قبل انتهائها مرارا، حفاظا على الإيقاع الموسيقي الذي يتنافى مع المعاني، رغم أن الوقف قبل الفاصلة يكون قصيرا وكدليل لمواطن استعماله في السورة.

1 ﴿ وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم (6) ﴾ تتطلب هذه الآية وقفا في وسطها لكونها قصيرة بالنسبة للوظيفة الفيزيولوجية.

2 ﴿ وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين ﴾ [النمل:43] (يستحسن الوقوف عند كلمة (الله) وذلك لمناسبة حاجة التنفيس، فهي متوسطة.

3 ﴿ قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرد من قوارير قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين (44) ﴾.

امتازت هذه الآية بالطول، وتتطلب الناحية الفيزيولوجية الوقف عند قراءتها للتنفيس، ومن الضروري أن يوقف على الكلمات التالية (الصرح، ساقيها، قوارير) في وسط الآية،

لأن المقاطع الصوتية تعتمد على اللسان، لذا يجب إظهارها والمحافظة على النّفس دون ضيق في مجراه، "فما وقف –عليه السلام– عليه دائما تحققنا أنه فاصلة، وما وصله دائما تحققنا أنه ليس بفاصلة وما وقف عليه مرة ووصله أخرى احتمل الوقف أن يكون لتعريفهما، أو لتعريف الوقف التام أو للاستراحة.

وإذا كان الروي في القافية قد سبقه حرف مد (كالياء) مثلا، فإن لشاعر أن يغيره إلى حرف المد المناسب المتمثل في (الواو) دون خلل أو طارئ في الوزن الذي تقبل القافية الحذف فيه أصلا، وهو كذلك في القرآن الكريم، وهذا ما شمل كل فواصل سورة (النمل) فتنوعت بين حرفي المد (الواو والياء) السابقين لروي النون، كالآيات التالية: (15–16–17) (18–19 –المؤمنين..المبين..يوزعون..يشعرون..الصالحين) وغيرها كثير.

أما روي الميم فقد سبقه حرف المد (الياء) كما عرفنا في تعداد الآيات في بداية موضوع الفواصل، وكان عددها تسع آيات.

ومهما يكن "فذلك شأن الإيقاع في القرآن، ليست الفاصلة فيه كقافية الشعر تقاس بالتفعيلات والأوزان وتضبط بالحركات والسكنات، ولا النظم فيه يعتمد على الحشو والتطويل، أو الزيادة والتكرار، أو الحذف والنقصان، ولا الألفاظ تحشد شدا، وتلصق إلصاقا، ويلتمس فيها الإبهام والإعراب، بل الفاصلة طليقة من كلّ قيد، والنظم بنجوة من كل صنعة، والألفاظ بمعزل عن كل تعقيد، إن هو إلا أسلوب يؤدي غرضه كاملا غير منقوص، يلين أو يشتد ويهدأ أو يهيج، ينساب .انسيابا كالماء إذ يسقي الغراس، أو يعصف عصفا كأن صرصر عاتية تبهر الأنفاس[1] ".

وإن إيقاع التعابير المفردة من طباق وجناس وسجع أبرز التقارب صوتيا ودلاليا، كما إيقاع الوحدات اللغوية من مقابلة وفواصل حافظ على النغم الموسيقي كما عرفنا، وخير دليل للمقابلة والفاصلة، قوله تعالى :

[1] صبحي الصالح: مباحث في علوم القرآن: دار العلم للملايين، ط1، بيروت، 1997، ص340.

﴿ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ =/ ﴿ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ [النمل: 3-5].

فتضمنت اتان الآيتان في تركيبه ظاهرة التقديم، حيث قدمت "(بالآخرة) للرعاية على الفاصلة والاهتمام بها.

وليست الفواصل والأساليب البديعية هي التي تدل على الإيقاع الموسيقي في القرآن، وإنما كل الصيغ والألفاظ والحروف لها جرسها الخاص بها الذي قر الآذان، "فكانت هذه الموسيقى القرآنية إشعاعا للنظم الخاص في كلّ موضع، وتابعة لقصر الفواصل وطولها، كما هي تابعة لانسجام الحروف في الكلمة المفردة، ولانسجام الألفاظ في الفاصلة الواحدة...على أن النسق القرآني جمع بين مزايا النثر والشعر جميعا، فقد أعفى التعبير من قيود القافية الموحدة والتفعيلات التامة، فنال بذلك حرية التعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامة. وأخذ في الوقت ذاته من الشعر الموسيقى الداخلية، والفواصل المتقاربة في الوزن التي تغني عن التفاعيل، والتقفية المتقاربة التي تغني عن القوافي، وضمَّ ذلك إلى الخصائص التي ذكرنا، فنشأ النثر والنظم جميعا.[1]

[1] سيد قطب : التصوير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق ، ط8، بيروت، 1983، ص102-103.

المبحث الثاني : دلالة التصوير الصوتي في سورة النمل

نموذج اجرائي للعدول لرعاية الفاصلة :

قال تعالى : ﴿ **قال سننظر أ صدقت أم كنت من الكاذبين (27)** ﴾.

في هذه الآية الكريمة عدول؛ هذا العدول في إيراد أحد جزئي الجملتين على الوجه الذي أورده نظيرها في الجملة الأخرى، و يمكن ، بالإضافة إلى ذلك فإنه لا يمكن تخريجها على النحو التالي: أصدقت أم كذبت؟ و هذا هو مقتضى الظاهر نفي أغراض أخرى لهذا العدول.

قال تعالى : ﴿ **قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم (40)** ﴾.

نستطيع القول أنّ في الآية الكريمة عدول عن إيراد القسم الثاني من الآية مطابقاً للقسم الأول منها، و ذلك لغاية رعاية الفاصلة، و كان بالإمكان أن تكون على النحو التالي: فمن شكر فإنما يشكر لنفسه و من كفر فإنما يكفر لنفسه أو عليها، أي: فضرر كفرانه عليها، و الملاحظة هنا أنّ الانزياح الواقع في هذه الآية الكريمة هو الإتيان بلفظة "كريم" رعاية للفاصلة، وكان ذلك كذلك لأنّ الآية التي قبلها جاءت فاصلتها على هذا النحو،

قال تعالى : ﴿ **قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين (39)** ﴾.

و هذا التوازي في الوزن مما يحدث إيقاعا و انسجاما موسيقيا. و من ثم كان هذا الانزياح ذو سمة جمالية بالإضافة إلى أغراض أخرى تتجلى في استغناء المولى سبحانه و تعالى عن شكر عباده، و هو كريم يترك العقوبة و بالإنعام على من كفر نعمته و لم يشك.

- **التقديم والتأخير لغاية رعاية الفاصلة :**

لعله من أهم مظاهر رعاية الفاصلة القرآنية التي أشار إليها القدماء: التقديم و التأخير، في وحدات الجملة متى كان ذلك جائزا و لا لبس فيه، و لما كانت لغة القرآن الكريم هي النموذج الأعلى للعربية، وجب –إذ ذاك– النظر إلى هذه الظاهرة مرتبطة بتحقيق غاية أسمى هي (المناسبة) بين الفواصل التي لم يعرفها كلام العرب قط في صورا المثالية التي عرفتها في كتاب الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ **وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ (88)** ﴾.

رتبة أصلية: رتبة مشوشة من أجل الفاصلة: إنه بما تفعلون خبير { إنه خبير با تفعلون}

واعتبار هذه الآية متراحة، أي:وقع فيها التقديم و التأخير من أجل الفاصلة، انطلاقًا من مقارنتها بالآيات الأخرى الواردة في سور القرآن الكريم، حيث لا يكون للاختصاص.

إنّ مراعاة المناسبة بين الفواصل القرآنية– و هذا سر عظيم من أسرار القرآن– لم يخل على الإطلاق بالارتباط المعنوي بين الفاصلة و الآية، ذلك أن القرآن يقوم على التمهيد للفاصلة تمهيدا تأتي به ممكنة في مكاا، مستقرة في قرارها، مطمئنة غير نافرة ولا قلقة، يتعلق معناها بمعنى الكلام كله تعلقا تاما، بحيث لو (طرحت اختل المعنى و اضطرب الفهم).

4–حذف الياء التي هي ياء المتكلم لأجل رعاية الفاصة :

فيما أسلفنا بسطه، تحدثنا عن حذف الياء لأجل رعاية الفاصلة، و قد تكون هذه الياء لام الكلمة أو ياء ها المتكلّم، و في محاولة لرصد هذه الظاهرة الانزياحية في صورة النمل،

توقفناعند قوله تعال: ﴿ قالت يا أيها الملؤا أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون 32) ﴾.

و المتأمل لقوله تعالى يجد أنّ ياء المتكلم محذوفة، ذلك لرعاية الفاصلة، و يمكن ردها إلى الصورة الأصلية لملاحظة الفرق.

وعليه فإن للفاصلة القرآنية الأثر الكبير في تحقيق اتساق صوت النص القرآني والاسهام في خلق جو من الترابط الموسيقى في بعض آيات السورة الواحدة أو كلها، خاصة إذا ما علمنا أن التناسق الموسيقي بين الفواصل وبين الجو الذي تصوره الايات من أسرار القرآن واعجازه البياني.

كما يضفي تكرار الفاصلة نفسها في عدد من الايات جمالا صوتيا على النص القرآني ، يجعل الاذان لا تمل الاستماع على طول التلاوة، محدثا نغمة موسيقية لها أثر كبير في النفس، بسبب التناسق اللفظي للحروف لتحقق للنص جانبا جماليا صوتيا لا يخطئه الذوق السليم لأننا مهما يكن من شق نحس أنها تضفي على النص قيمة صوتية منتظمة ذات أثر جمالي .

ملخص الفصل :

جاءت سورة " النمل" بعد سورة الشعراء وقبل سورة القصص، اهتمت بالحديث عن أصول العقيدة التوحيد والرسالة والبعث وهي إحدى سور ثلاث نزلت متتالية ووضعت في المصحف متتالية وهي الشعراء والنمل والقصص ويكاد يكون منهاجها واحدا في سلوك مسلك العظة والعبرة عن طريق قصص الغابرين.

و الدراسة الأسلوبية الصوتية تتطلب تضلعا كبيرا في دراسة الألفاظ، لأنها الأداة التي توضح المعاني، والكلمة بمفردها مبهمة إلا إذا ركبت مع غيرها، فالمعنى ينكشف إلا من خلال الوحدة اللغوية كما وكيفًا، وتعابير سورة (النمل) تدل على غريب اللفظ لأنها متداولة مناسبة لأسلوب القص، ووظفت توظيفا إيحائيا ودلاليا، يخدم الموضوع العام فنظام المطابقة وظف بأفعال مضارعة دلالة على التجديد والتحويل، وسر المقابلة وضح الإنتقال والحركة بالتضاد ، ونظام المشاكلة ليس من التكرار وإنما من المعاني المختلفة المتقاربة، والمحسنات البديعية اللفظية دلت على قوة الأسلوب وتناسق أواخر الكلمات، والفواصل بأنواعها المتواترة في السورة اعتمدت في أغلبها على حرفي الميم والنون وذلك لإدخال الإطمئنان والإستقرار في النفس نظرا لتشابه حلول القصص، كما يمثل تحديا للشعراء الذين يعتمدون غالبا هذين الروِيين، وإيقاع الفواصل الذي يبنى عليه الوقف تراوحت آياته بين الطول والتوسط والقِصر على حساب الناحية الفيزيولوجية التي تتطلب الوقف حينا عند انتهاء الفاصلة أو قبل انتهائها حفاظا على الإيقاع الموسيقي، والمقاطع الصوتية هي الوحدة الأساسية للكلمة، فالمفتوحة في السورة تدل على امتداد الصوت، والمغلقة تقابل الإمتداد، والمقطع الطويل المفتوح يدل على نهاية الفاصلة.

الخاتمة

الخاتمة:

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى لله عليه وسلم، وعلى آله ومن والاه وبعد:

بعد إتمامنا لهذا البحث بفضل الله سنعرض أهم النتائج والتوصيات كالآتي:

- للصوت أثر كبير في تحقيق التماسك النصي في عملية نسج الأصوات وتنظيمها في أبنية النص، تسهم في وحدة النص واستمرارية إيحائه بالمعاني و ذلك من خلال الفاصلة القرآنية بتشكيلات صوتية متنوعة، أغنت النصوص بجمالية نلمسها عند القراءة.
- مع عناصر المستوى الصوتي نجد الفاصلة القرآنية، التنغيم، السجع؛ التي ساهمت بدورها في تماسك وترابط السور القرآنية ، لذا يعد وسيلة من وسائل السبك النصي.
- – إن العالم الدلالي لسورة (النمل) يقوم على العقيدة الذي تفرع إلى عالمين رئيسيين: عالم الإيمان وعالم الكفر، حيث كشفا عن عوالم مختلفة فرعية من خلال تقسيم مفردات السورة إلى أسماء وأفعال وصفات.
- كما وظفت السورة بعض الظواهر التي لها علاقة بدلالة الكلمات، كالسياق والترادف، والمشترك اللفظي والدال ذي المدلول الواحد.
- إن اللغة بمستوياتها من أساليب وصور وأبنية ودلالات هي الوسيلة التي نملكها للبرهنة على ارتباط موضوعات السورة.

كما لا ننسى في هذا الإطار أن نقدم مجموعة من التوصيات تتمحور حول وجوب قراءة القرآن الكريم وحفظه وفهمه والتوبة إلى الله وتطبيق ما فيه من المقاصد والأهداف:

- أن من أسباب البلاء معصية الله واتباع الهوى والابتعاد عن طريق الحق.
- فنوصي الباحثين وطلاب العلم بدراسة النحو والبلاغة وفهم قواعد اللغة العربية وترك كل ما يعيق طريقهم إلى النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة والله المستعان.

قائمة المصادر

والمراجع

- **القرآن الكريم(برواية** ورش)

قائمة المصادر والمراجع:

1) إبراهيم أحمد الفارسي: معالم الإعراب، دار أسامة، باب الزوار، الجزائر، ط1، 2003،

2) إبراهيم قلاتي: قصة الاعراب، دار الهدى، عين مليلة الجزائر، 2009.

3) الأنباري أبو البركات كمال الدين: الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين والبصريين والكوفيين، المكتبة المصرية، بيروت، ط1، 2003.

4) ابن الأنباري، أسرار العربية: باب الإعراب والبناء، تح: محمد البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، سوريا، 513هـ- 577.

5) ابن جني أبو الفتح: اللمع في العربية، تح: حامد المؤمن، مكتبة النهضة العربية، ط2، 1985.

6) أحمد ابن فارس: مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، ج1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1987.

7) أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات، ط3، دار الفكر، دمشق، 2008.

8) أحمد مومن: اللسانيات النشاة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية –بن عكنون – الجزائر، ط4، 2008.

9) بطرس البستاني: محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت،1997.

10) بكر محمد الدين صلاح مصطفى: النحو الصفي من خلال القرآن الكريم، د ط، د ت.

11) ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح، محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة المصرية، بيروت، 1987.

12) تمام حسان: الخلاصة النحوية، عالم الكتب، ط1، 2000.

13) جلول سليم حمريط: دلالة أبنية الفعل في لامية العرب للشنفرى، دار التعليم الجامعي، الاسكندرية، ، ط1، 2019.

14) الجوهري أبو نصر إسماعيل بن حمادة: الصحاح تاج اللغو وصحاح العربية، راجعه: محمد ثامر، دار الحديث، القاهرة، 2000.

15) الخفاجي: سر الفصاحة، الجمل، تح: عبد المتعال الصعيدي، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بمصر، مصر، د ط، 1952.

16) خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ اللسانيات، ط2، دار القصبة الجزائر، 2006.

17) رضي الدين الإستراباذي: شرح كافية ابن حاجب، دار المكتبة العلمية، بيروت، ط2، 2007.

18) الزجاجي: الجمل في النحو، تح: علي الحمد، مؤسسة الرسالة دار الأمل، ط1، 1984.

19) الزمخشري: المفصل في صنعة الإعراب، دار ومكتبة الهلال بيروت، ط1، 1993.

20) زين كامل الخويسكي: الجملة الفعلية بسيطة ومركبة، مؤسسة شباب جامعة الإسكندرية، د ط، 1987، ج1.

21) زين كامل الخويسكي: قواعد العربية، دار المعرفة الجامعية، د ط، 2000.

22) السعيد شنوقة: مدخل إلى المدارس اللسانية، ط1، المكتبة الأزهرية للتراث، 2008.

23) سيبويه: الكتاب، تح عبد السلام محمود هارون، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج1،

24) الشريف علي بن محمد السيد الجرجاني: كتاب التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، د ط، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة.

25) صالح بلعيد: التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة، ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر، د ط، 1994.

26) صلاح الدين صالح حسنين: الدلالة والنحو، توزيع مكتب الآداب، ط1، 2005.

27) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، دار المدني بجدة، ط1، 1991.

28) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الاعجاز، تح: محمود محمد شاكر، المدني جدة، ط3، 1992

29) فاضل صالح السامرائي: الجملة العربية تأليفها وأقسامها، دار الفكر، عمان، الأردن، ط2، د ت،

30) فاضل صالح السامرائي: الجملة العربية تأليفها وأقسامها، ط2، دار الفكر، عمان، الأردن، ص162

31) فاضل ناهي عبد عون: طرائق تدريس اللغة وأساليب تدريسها، مؤسسة دار الصادق الثقافية، دار صفاء، عمان، ط2014،2

32) كريم ناصح الخالدي: نظرات في الجملة العربية، دار الصفاء، ط1، عمان، 2005.

33) لخصر العارابي: مفهوم القصة القرآنية وأغراضها عند السابقين والمعاصرين، مؤسسة كتاب، وهران، الجزائر، ط1، 2002.

34) مجدي محمد حسين: الجملة الإسمية، راجعه: سليمان طه حمودة، دار ابن خلدون للنشر، 2004

35) محمد علي الخولي: قواعد تحويلية للغة العربية، دار المريخ، دار الرياض، ط1، 1981.

36) محمود أحمد نحلة: مدخل إلى دراسة الجملة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1988.

37) محمود أحمد نحلة: نظام الجملة في شعر المعلقات، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1991.

38) مصطفى الصليبي: الجملة الفعلية في مختارات ابن شجري، دار هومة، د ط، د ت، ج1.

39) مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية، دار الحديث، ط1، القاهرة، 2005، ج3.

40) المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، ط4، جمهورية مصر العربية، مكتبة الشروق الدولية، 2.

41) ابن منظور: أبي الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم: لسان العرب، مادة (جمل)، دار صادر، بيروت . لبنان، ط2، 1994.

42) مهدي المخزومي: في النحو العربي نقد وتوجيه، منشورات دار الرائد العربي، بيروت، ط2.

43) مهدي المخزومي: النحو العربي نقد وتوجيه، ط2، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1986.

44) نظم القاضي الاديب محمد بن عبد اللطيف آل محمد البحريني: العطر الوردي في تخميس لامية ابن الوردي، تح: السيد محمد رفق الحسيني، دار البشائر الإسلامية.

45) هاني الفرنواني: الخلاصة في النحو، دار الوفاء، ط1، 2005.

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
شكر وعرفان	
خطة الدراسة	
مقدمة	أ
مدخـل	
1-التعريف بسورة النمل	05
2-المعنى العام للسورة:	05
3-سبب التسمية:	06
4-مقاصد سورة النمل:	06
5-قصة موسى عليه السلام:	08
الفصل الأول: التصوير الصوتي المفاهيم والاجراءات	
تمهيد	14
المبحث الاول: التصوير القرآني في القرآن الكريم.	15
المبحث الثاني: النص القرآني من منظور صوتي	15
المبحث الثالث: التصوير الصوتي للحدث القصصي	16
الفصل الثاني: الظواهر النحوية في سورة غافر	
تمهيد	51
المبحث الأول: المقاطع الصوتية	60
المبحث الثاني: دلالة الأصوات	70
خاتمة	81
قائمة المصادر والمراجع	84
فهرس الموضوعات	
ملخص	

ملخص:

تحاول هذه المذكرة المعنونة ب " التصوير الصوتي في القرآن الكريم من خلال سورة النمل انموذجا، حيث كشفت لنا الدراسة خصائص وسمات جمالية مست االجانب الصوتي في سورة النمل

وقد قسمنا دراستنا هذه إلى مقدمة ومدخل وفصلين اثنين ، جاء الفصل النظري للتعريف بالسورة وكذا التصوير الصوتي من خلال عدد من الإجراءات والمفاهيم ، أما الفصل الثاني فقد كان للدراسة التطبيقية من خلال دراسة المستوى الصوتي في السورة .

الكلمات المفتاحية: النمل ، الصوت، التصوير ، القرآن الكريم.

Summary :

This note, entitled "The Sentence in the Lamaiyya of Ibn al-Wardi - a grammatical and rhetorical study - attempts to reveal the grammatical and rhetorical aesthetics in the poem, Ibn al-Wardi as a model.

We divided this study into an introduction, an introduction, and two chapters. The theoretical chapter came to define the sentence through a number of procedures and concepts, and the second chapter was for an applied study through research on the grammatical and rhetorical levels of the poem.

Key words: phenomena, morphology, grammar